# الفصل الثالث : العصافير فى القفص الأمريكى

## أولاً : ألوان الطيف

لا زالوا عند قولهم أن الإرهاب صناعة إسلامية، وأكدوا عليه بالربط بين الإسلام والإرهاب، وصنّفوا المسلمين إلى ثلاثة :

( أ ) المسلمون المعتدلون.

( ب ) الأصوليون ( المتشددون ).

( جـ) الإرهابيون.

وقد نسبوهم جميعًا إلى الرجعية أو السلفية التى تمثل بحسب زعمهم عدواً تاريخيًا للمدنيّة والحضارة الجديدة ( العولمة ) – وهم بهذا التصنيف يرمون إلى عدم تشتيت مجهوداتهم من جانب، ومن جانب آخر إلى عدم إثارة المجتمع الإسلامى، وطمأنة المسلمين وإقناعهم بأن هناك مسلمون يمثلون خطراً داهمًا على المسلمين، وعلى بنى البشر عامة، وهذا الصنف يجب قتله أو اعتقاله وفوراً.

وقد نجحت المحافل الماسونية المنتشرة فى العالم كله فى الترويج لهذه المزاعم الباطلة والإفتراءات الكاذبة، والعجيب أن هذه الأساطير لاقت أذنًا صاغية وعقولاً فارغة خصبة نبتت فيها تلك الأفكار الجهنمية وترعرعت حتى صار المسلم يرمى أخاه المسلم بتهمة الإرهاب، وفى مثل هذا حدث ولا حرج.

وطبقًا لهذا التصنيف سوف يصفق الجميع عند مقتل المسلمين الكائنين بخانة الإرهاب فى التصنيف الغَربى المُعادى – حتى يتم القضاء على ما يسمونه ( مَعَامل تفريخ الإرهاب ) – وعندئذ سوف لا تكون هناك شبهة جنائية تقع عند مقتل هؤلاء الإرهابيين المرفوضين من المجتمع برمته.

ثم تدور الدائرة على الأقل رتبة وهم الأصوليون – وتستمر وتتحور لبثْر بنان كل مسلم أصولى بعد أن تم دمج الأصولية فى الإرهاب – وصار لها تعريفًا واحداً وهو الإرهاب الإسلامى.

وفى صحيح القول : يجب على كل مسلم أن يكون أصوليًا – أى – ملتزمًا عاملاً بكتاب الله وسنة نبيه « محمد ﷺ » ومنهجه كما قال ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار ».

والأصولى بهذا المعنى هو لذى تأصلت فيه القيم الإسلامية ورسخت مفاهيمها واستقرت أحكام شريعتها فى أعماقه – وهو بهذا لا تمتد يده إلى إيصال الأذى

لا بالمسلمين ولا بغيرهم ما لم يكن جلبًا لمنافع كنشر الإسلام فى أراضى جديدة، أو درءًا للمفاسد كأن يهب مدافعًا عن نفسه أو ماله أو نفس غيره أو ماله أو عرضه وأرضه ووطنه – ومقاتلاً كل من يؤذيه فى دينه أو يحاول إثناءه عن عقيدته – لما قال ﷺ: «من آذى ذميًا فقد آذانى» ولما قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ – الآية [الممتحنة: ٨]، وهذا هو حجر الزاوية فى الربط بين الإسلام والإرهاب لا فرق بين مسلم معتدل أو غيره لأن المسلمين على قلب رجل واحد عند النكبات والشدائد، وهم جميعًا يقفون فى وجه الغارات التنصيرية الشرسة، لأنهم لا يرضُون عن الإسلام بديلاً ولا يبغون عن الجنّة حولاً.

لذلك تطور الصراع واحتوى على كل ألوان الطيف المتناسقة والمتنافرة ضد بنى الإسلام على إطلاقهم حتى هؤلاء العلمانيون من بنى جلدنا وأخوة أوطاننا وقد أصابهم ما أصابهم فرفعوا لواءهم فى غفلة ونشوة بعد أن رشفوا كأس المدنيّة المعاصرة، وبَهرت عيونَهم سحر الإبداعات الحديثة.

ولا زلت أنا عند قولى أن الذين زرعوا الإرهاب فى المنطقة العربية غرثوا معها شتلات الإرهاب والدمار والخراب، ونثروا كذلك بذور حرب عالمية ثالثة، إنهم القائمون على رعايتها وحمايتها، المتعهدون بضمان أمنها وسلامتها – ولذلك يقدمون إليها أحدث أسلحة الفتك والدمار الشامل بما فيها الأسلحة النووية، ليضمنوا لها بذلك تفوقها المطلق على دول الجوار، ولتحويلها إلى قوة إقليمية كبرى لإجهاض مصر وإجهادها ومعها سوريا، وفوق كل ذلك يأتى ضبْط إيقاع العلمانية الحاكمة فى تركية بحيث يتم القضاء مبكرًا على أى محاولة للأصوليين بالصعود إلى مقعد الحكم، وإن حدث فليكن تحت السيطرة كما هو الحال عندما فاز الحزب الإسلامى الذى يترأسه رجب طيب أرطوغان الذى صار رئيسًا للوزراء منذ شهور قليلة[1].

وما ذلك إلا تخوفًا من أن تنهض تركيا النهضة التى يخشونها خاصة مع تنامى الشعور الإسلامى الجارف فى الشارع التركى الذى سوف يقض مضاجع العلمانية الحاكمة عند أجل آت إن شاء الله تعالى – آمين.

ومع هذا الجهد الدولى فى صناعة إسرائيل وزرعها فى قلب العرب إلا أن

---

(١) راجع الموقف التركى غير الحميد أثناء حرب الخليج الثالثة فى كتابنا وحيد القرن ورياح التغيير.

ضجيجهم ملأ الدنيا، وأعلنوا على العالم هذا الذعر المفتعل من خطر محقق يحيط بهم اسمه «الإسلام» وملؤا الدنيا صراخا وعويلاً بأن القائمين بهذا الخطر هم من المنتمين إلى قبائل همجية لا تقل عن همجية التتار فى العصور الوسطى – إنهم المسلمون.

وقد دأب هؤلاء الصناع المهرة من خلال إمكانياتهم الإعلامية والدعائية التى ملأت الأرض والبحر والجو على إقناع العالم بأن هؤلاء الهمج – أى – المسلمين يُخطّطون لإقامة حكومات إسلامية سلطوية علوية – مبلغ همها العمل على قهر العقول على نَمط سياسى سلفى – أى – «متخلف» لا يعرف تعددية حزبية ولا ليقيم للمعارضة وزنًا . ناهيك عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فى شرب الخمر والزنا والسرقة.

وهكذا نشأت فكرة جديدة تضاف إلى الأفكار السابقة فى القضاء على الإرهاب (الإسلام) – على اعتبار الوقاية خير من العلاج، وهى ههنا الهجوم على هذا الوحش الكاسر فى عقر داره، الأمر الذى يعنى اجتثاث الإسلام من جذوره، وقتل المسلمين ومطاردتهم وملاحقتهم فى كل مكان.

إن هذا الذعر المفتعل مما يسمونه الخطر الإسلامى هو نتاج أياد ماهرة، وعقول باهرة أجادت هذه الصنيعة، وأحسنت الترويج الإعلامى لها، حتى ترسخ فى الشعور الأوروبى العام، والعقل الغَرْبى على إطلاقه أن ضرب الحصار على قبائل الهمج التتارية الجديدة، والهجوم عليها فى كل مكان، إنما يأتى فى إطار السياسة الأمنية والحلول الوقائية من الوباء الفتاك الذى أشرف يهددهم ويستشعرون خَطَرَهُ الذى شارف على تهديد عروش ممالكهم، ومقاعد رئاستهم بعد أن دخل بريطانيا وفرَنسا وأمريكا من غير قتال، كما هز عرش القلاع الغربية من غير فتوحات إسلامية، أو دعاة يعملون هناك كما تعمل إرسالياتهم التبشيرية فى القارتين الإسلاميتين.

دليلنا على ذلك: أن بريطانيا وأمريكا أقامتا الدنيا ولم تُقعداها بسبب الطائرة البريطانية التى تم تفجيرها فوق لوكيربى وتم نسبها إلى الجماهيرة الليبية، وقد نفذت ليبيا جميع المطالب الأنجلو أمريكية التى فُرضت عليها بما فيها تسليم المواطنين الليبيين المتهمين بتفجير الطائرة، ودفع التعويضات الهائلة لأسر الضحايا، وعلى الرغم من الإعلان الفرنسى باستخدام حق النقض (الفيتو) ضد أى محاولة من جانب مجلس الأمن تستهدف رفع العقوبات المفروضة على ليبيا حتى تدفع ليبيا تعويضات مماثلة لأهالى ضحايا طائرة فرنسية نسبتها فرنسا أيضاً إلى ليبيا، غير أن ليبيا رضخت للتطورات الجديدة ودفعت لفرنسا، ولكن لم يتم رفع العقوبات حتى الآن.

إنها إذاً حقوق الإنسان – الإنسان الغربى فقط باعتباره رتبة أعلى من أبناء العَرب والمسلمين وهم الأدنى فى الترتيب والتصنيف بما فى ذلك المسلم الذى يحمل الجنسية الأوروبية حتى وإن كان أوروبيًا أو أمريكيًا «الهوية والجنسية» لأن مكانهم الطبيعى هو محرقة التاريخ (بحسب قولهم).

والشاهد على ذلك أن الطائرة المصرية التى كانت تحمل على ظهرها الحجيج، قادمة من المملكة السعودية وهى التى قصفتها إسرائيل بالصواريخ فوق سيناء ومات جميع من على متنها والبالغ عددهم المائتين وثلاثة وأربعين راكبًا ومن بينهم المذيعة الشهيرة «سلوى حجازى». وقد دفنت قضيتهم مع رفاة الشهداء، وطويت صفحات موضوعهم مع صفحات التاريخ. ولم أسمع حتى الآن بدعوى قضائية أقامها اتحاد المحامون العرب أو المصريون للمطالبة بمثل ما كان ضدنا نحن العرب والمسلمين فى قضية لوكيربى، وأحداث لندن وبوينس أيريس.

وكذلك لم يتحرك لهم ساكن ولم يطرف لهم جفن على مائتين وخمسين ألفًا من القتلى المسلمين ضحايا الصرب والكروات، فضلاً عن ستين ألفًا من النساء والفتيات أعياهُنّ الإغتصاب العلنى فى الشوارع والميادين العامة أمام ذويهم، هذا غير ما يناهز الثلاثة ملايين مسلم تم تشريدهم وتهجيرهم إلى دول أوروبا، وقد امتنعت أوروبا كاملة عن تقديم أى عون أو مساعدة عسكرية أو مادية لشعب البوسنة المسلم المُدافع عن وجوده أمام الإنتقام البيزنطى (صربيا – كرواتيا – الجبل الأسود) الذين قدّم لهم الروس وبلغاريا وإيطاليا واليونان كافة أشكال الدعم ليتمكنوا من زحفهم الصليبى على الشعب المسلم الذى تحالف عليه السفاحون والقتلة.

وهذه هى «جُورَاشْدَا» إحدى المدن المنكوبة التى تقع فى قلب البوسنة، وتمثل حادثتها مثالاً صارخًا للظلم والبغى والعدوان.

وجُورَاشْدا هذه أعلنتها الأمم المتحدة ملاذاً آمنًا لكل مسلم دخلها، وما لبث قرار الأمم المتحدة أن تحول إلى ورقة مهملة فى سلة المهملات ودارت الدائرة على «المدينة المأوى» بعد أن احتمى بها ولجأت إليها جموع النساء والأطفال والشيوخ. ودخلت دبابات الصرب إلى قلب جوراشدا بعد قصفها بوابل من الصواريخ، وإمطارها بغزير القنابل والقذائف، ودهست الدبابات الموتى وأنصاف الموتى، وقضت على المسلمين فى ساعة سوداء مات فيها الضمير العالمى كله، وبدأ معها نسيج أول خيط فى كفن النظام العالمى الجديد أو ربما ولادة نظام اللانظام.

وحمل خنازير الصرب جثث القتلى المسلمين فى الجرافات، وألقوا بها فى نهر

( درينا ) الشهير الذى بدا وهو مقبرة جماعية مثلجة تغمرها دماء المسلمين الطاهرة، ودفن الخنازيرُ بعضًا فى مقابر جماعية، وخلُوا بين بعض الجثث الأخرى والكلاب الجائعة ليعتبر المسلمون الذين ينزفون من الأحداث الجسام فى بطن أوروبا الذى ملأ الدنيا نفيرُهُم بحقوق الإنسان والحرية والإخاء والمساواة.

ومن ألوان الطيف كذلك. ما كان من سياسة غض الطرف عن العزيزة الغالية إسرائيل التى لا تكف عن مصادرة الأراضى الفلسطينية، ونهب ممتلكاتهم، واقتلاع زراعاتهم وطردهم وتهجيرهم – أى – فى الجملة أنها تمارس حرب إبادة شاملة بنظام مدروس ووقت محسوب وعمل منظم – رغم ما يقول دعاة السلام، ورغم دعاوى السلام التى تتردد فى الدهاليز السياسية فقط – وهى كذلك ترفض التوقيع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، وترفض إخضاع ترساناتها الذرية والبيولوجية والكيميائية للتفتيش الدولى، وهى كذلك تسد آذانها والعالم من حولها، على ثلاث مائة قنبلة نووية جاهزة للإطلاق فى مخابئها السرية فى صحراء النقب، وهى تنصب مئات الصواريخ ذات القدرة على حمل رؤوس نووية موجهة إلى جيرانها العرب – وسيكشف التاريخ عن أن الصواريخ متوسطة وبعيدة المدى التى تم إزالتها بموجب الإتفاق التاريخى الذى وقعه ( جورباتشوف، وريجان ) والمشار إليه سلفًا، قد بيع معظمها إلى إسرائيل ضمن اتفاقات سرية لم يتم الإعلان عنها حتى الآن، وسوف تبديها الأيام.

تلك القوة الهائلة أضافت قوة إلى جانب القوة الإسرائيلية بحيث أصبحت وكأنها فوق القانون الدولى – وفوق السيادة الدولية، وفوق القوى العربية والإقليمية خاصة بعد أن أقر العرب جميعًا مبادرة ولى العهد السعودى « الأمير عبدالله بن عبدالعزيز» فى مؤتمر القمة العربية ببيروت ٢٠٠٢م– وأكدوا على أن السلام خيار عربى استراتيجى لا حياد عنه، فقابل « شارون » هذا الطرح العربى بإعادة احتلال الضفة الغربية وغزة. وملأ فمه بتوجيه ضربات وقائية ضد مصر وسوريا وإيران والسعودية، كما أنها ترفض إخلاء الجولان السورية وترفض الجلوس على مائدة المفاوضات لإيجاد صيغة مقبولة لمشروع سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط.

بينما يأتى رد الفعل العربى بالإصرار على الحديث عن السلام وخيار السلام، و« بلح الشام ». وكأن السلام هو عكاظ الأعمى وسلاحه فى عالم الظلام.

وإذا كان بيجين شريك السادات فى عملية السلام المنفرد مع مصر لم يوقع على الإتفاقية إلا بعد أن أخضعتهم القوة – وقد تعمد هذا الصهيونى توسيع الفجوة بين

مصر والعالم العربى. حيث فور عودته من الإسماعيلية إلى تل أبيب بعد لقاء السادات، أمر بإرسال مجموعة من طائرات جيش دفاعه الإسرائيلى طراز « F15 ، F16 » أمريكية الصنع لتلقى بحوالى ١٦ طنًا من القنابل على المفاعل الذرى العراقى فى يونيو ١٩٨١ .م ، كما تلمح إسرائيل الآن وتهدد علنًا بتكرار نموذج بغداد على طهران – كما أنها تهدد كذلك بضرب القواعد الجوية السعودية فى المناطق الشمالية لأنها – إسرائيل – ترى أن تلك القواعد تمثل خطرًا على أمنها وسلامتها وتهدد سيادتها. ولذلك أخلت الولايات المتحدة تلك القواعد لعدم تعريض أمن إسرائيل للخطر، خاصة مع تسجيل الطيارين السعوديين لدرجات كفاءة قتالية عالية يمكن لهم بها الإنطلاق إلى إسرائيل فى فترة زمنية لا تستطيع أجهزة الإنذار المبكر التقاطها، ولا قوات الدفاع الجوى التعامل معها.

وفى الوقت الذى تردد فيه الكلام فى الداخل الإسرائيلى عن ضرب بعض الأهداف الإستراتيجية فى مصر، وقصْف السد العالى ومشاريع التنمية المعَلاقة، فاجأت إسرائيل العرب والعالم بعدوان سافر إجرامى غاشم على الأراضى السورية مساء السبت ٤ / ١٠ / ٢٠٠٣م، حيث قصف الطيران الإسرائيلى قاعدة [عين الصاحب] العسكرية السورية بمنطقة التل شمال غرب دمشق على بعد ٢٥كم من العاصمة دمشق فى أول هجوم من نوعه منذ عشرين عامًا، وكان من الممكن أن يكون فى الرد السورى جرأة الصقور – غير أن الوجود الأمريكى على الحدود السورية من ثلاث اتجاهات جعل القيادة السورية تلتزم بصمت القبور.

وقد أكد مستشار شارون ( رعنان چيسين ) أن عملية القصف تحذير لسوريا وقال: إن سوريا التى ترأس الدورة الحالية لمجلس الأمن يجب أن تكف عن دعم الإرهابيين الفلسطينيين، وأوضح چيسين أن القصف تم بعد مشاورات مكثفة داخل الحكومة الإسرائيلية، وزعم مستشار شارون أن محور الإرهاب يضم سوريا وإيران وغزة، وأضاف أن إيران تسعى لتقوية علاقاتها بالمجتمع العربى داخل إسرائيل، وأكد على أنه لا يستبعد شن هجمات جديدة ضد سوريا فى حالة استمرارها فى إيواء منظمات إرهابية، وبهذا تكون إسرائيل قد أعلنت أنها ستنهش بمخالبها قلب دمشق وطهران والرياض والقاهرة.

ولا تتعجب إذا قلت القاهرة، فإن هناك تقارير أمريكية عديدة ومكثفة تتحدث عن أن مصر والسعودية دولتان راعيتان للإرهاب، ولا تتعجب ثانية إذا ذكرت ههنا أن هناك مشاريع أمريكية تقضى بفرض عقوبات اقتصادية على الدولتين كونهما خرجتا

على الطاعة الأمريكية فى عدم الكف عن تقديم الدعم المادى والمعنوى للشعب الفلسطينى – وهما بذلك تمولان الإرهاب بحسب رؤيتهم هناك.

كما أن الدولتين تمدان يَدَالعون للمسلمين فى البوسنة والهرسك والصومال، والسودان، بالإضافة إلى أن مصر تقدمت بمبادرة مع ليبيا لحل النزاع فى السودان والحفاظ على وحدته الوطنية وسلامة أراضيه، وهو ما يتنافى تماماً مع الرغبات والنهم الأمريكى والأوروبى المهرول نحو تقسيم السودان (كما ذكرنا سابقاً).

زد على ذلك أن مصر والسعودية لم تقبلا بحال إرسال جنود لهما إلى العراق ضمن ما اقترحت أمريكا تشكيله تحت مسمى (قوات حفظ السلام الدولية)، وذلك لأن هذه القوات المصرية والسعودية صراحة ستنوب عن الأمريكيين فى قتال العراقيين الرافضين لأى وجود أجنبى على أراضيهم حتى وإن كان وجوداً عربياً – وبذلك ترحل القوات الأمريكية إلى أعالى الجبال فى القواعد العسكرية التى أقامتها وتقيمها، وتترك الدم العربى – العربى (المسلم) ينزف حتى الموت.

إن ورقة الإرهاب ما هى غير قنبلة موقوتة تستخدمها إسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية وأوروبا الصليبية والمتحدة الأمريكية، بعد أن أصبح الجميع على هدف واحد – وهو حتمية أن يفكر ألف مرة كل من يحاول التصدى للعزيزة الغالية أن يفكر كيف سيواجه أمريكا أولاً.

وهذا هو عين الإرهاب الذى يرسم الصورة العامة للمناخ الذى تعيشه الدول العربية شعوباً وقيادات، وهو مناخ إرهابى بكل المقاييس.

ويتعين على العرب التخطيط لحلول مشاكلهم الإقتصادية والسياسية والبيئية ورسم صورة المستقبل العربى كله فى هذا الجو الملغم والمكهرب.

فالجميع تحت الحصار – والكل فى مرمى التهديد – وجميعهم فشلوا فى حصار حصارهم.

أيها العرب حاصروا من أجل البقاء حصاركم، إن الخريطة السياسية يعاد الآن رسمها لسحق المسلمين أينما وجدوا على ظهر الأرض فى كل مكان فيها أو عليها، إنّ الأحداث تُشير إلى مؤامرة كبرى تحاك فى الخفاء، وهى تُعبّر بحق عن الصراع المحتدم، بينما يتم توزيع الأدوار بسريّة بالغة ضمن خطة غاية فى السرية للإنطلاق نحو عملية تصفية حسابات قديمة، وميراث حقد مرير يحملونه بين جنباتهم ضد الإسلام وأهله، وليس أدل على ذلك من محاولة إحياء الإمبراطورية البيزنطية فى الشمال، لتكون فى مقابلة الدولة الصهيونية فى الجنوب وبذلك تدور الدائرة على من تبقى من مسلمى

منطقة البلقان، ولا مانع إذًا أن تتعرض تركيا ذاتها إلى نفس الطحن بالرّحا إذا ما حاولت أن يكون لها وجودًا إسلاميًا.

بينما تقع الدولة الصهيونية فى الشمال فى مقابلة الوجود الصليبى فى القرن الإفريقى الذى امتد إلى جزيرة العرب مؤخرًا لضمان السيطرة على الطريق الساحلى للبحر الأحمر (كما سيرد الكلام عنه لاحقًا).

تلك هى ثوابت إدارة الصراع، وضوابط إدارة الحوار.

* * *

## ثانيًا: العلمانية والزمن الردئ

من الضرورى أن نفرق بين العلم (بكسر العين)، والعَلمانيّة (بنصبها).

فالعلم تراث إنسانى وثقافة إنسانية محايدة وعقلانية، وهو قاعدة التقدم والإنطلاق لخدمة الإنسانية كلها، ويتم اكتسابه على النهج المألوف، والأسلوب المعهود من خلال المُلقِّن والمتلقى والمادة المرسلة نظير قوله تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ** ﴾ [البقرة: ٣٧] وحتى وصل بنا العلم لدراسة ظاهرة الكسوف والخسوف، والتنبؤ بحالة الطقس لبضع أيام قادمة، ثم الخوض فى علم الوراثة، والكيمياء، والفيزيقا، والهندسة، والطب... إلخ.

أما العلمانية: فهى مذهب فلسفى – قاعدته – بناء الحياة على غير دين – ولهما بذلك موقف خاص ورأى شارد فى الكون وخالقه، والأديان، والموت باعتباره المصير الحتمى للبشرية.

وقد تأسس موقف العَلْمَانيين فى الأصل على أن الله كما يقول بعضهم فى تأدب أنه فكرة غير مطروحة، وغير واردة، أما بعضهم فينكر وجود الله أصلاً، أمّا الغالبية فتحيا طبيعتها وتعيش حياتها على غير دين.

وبذلك يصير الإنسان ولا يُلزمه شىء غير ضَميره ولا سُلطَة رادعة له غير سُلطة الآخرين وقوانينهم الوضعية الهوائية، وبذلك يكون الإنسان فى العلمانية، هو الخصم والحكم وهو حر مسئول عن أعماله – وذلك بعد تعطيل العمل بأحكام الله على الأرض لأن الله فى الأصل لا وجود له عندهم. وعمّت بذلك الأحكام العرفية والقوانين الوضعية.

وعند أهل هذا المذهب وقع فصل الدنيا عن الدين، والشعب عن السلطة، وغاب دور المسجد والكنيسة، فلا مانع من أن يصلى المصلون، ويقيمون شعائرهم إلى مطلع الفجر ولكن من دون إقامة أى اعتبار للدين وتشريعه، وإبعاده ولو بالتدرج عن

إدارة الحكم وتجنيبه بالمرة صياغة القوانين ورسم السياسات، ومن ثم فإن العَلمانية تكون فلسفة ظنيّة تنكر الغيب والآخرة، والبعث، والحساب، والجنة، والنار.

أما أصحابها – العلمانيون فإنهم يقدسون الطبيعة وقوى الطبيعة، ويقولون ملء أفواههم أن الطبيعة فعلت وطورت، وأخرجت من الأرض ماءها وزرعها، كما يقولون بأنها هى التى تصرف الرياح والأعاصير، وتثير الزلال المدمرة، والبراكين المهلكة.

وفى هذا يقول الأستاذ الدكتور العلامة «مصطفى محمود» فى كتابه المعنون – الطريق إلى جهنم – على الصفحة الثانية بعد الخمسين تحت عنوان: عندما تغضب الطبيعة. سمعت المذيع الأوروبى يصف ما حدث من أعاصير، وسيول، وزوابع، فى أوروبا وأمريكا بأنه غضب الطبيعة، وحينما نقل إلينا أخيراً ما حدث فى لوس أنجلوس من زلازل، قال: «إن الطبيعة لم تغضب فى أى يوم كما غضبت هذه الليلة».

ويتابع الدكتور العلامة قوله: وتوقّفْتُ طويلاً أمام هذه الكلمة «غضبة الطبيعة» وتساءلت. أيكون الإيدز الذى اكتسح لوس أنجيلوس وسان فرانسيسكو هو الآخر غضبة أخرى من غضبات الطبيعة، ثم أيكون فشل الطبيعة فى ابتكار أى علاج للمرض هو غضب آخر أعمى أعين العلماء عن اكتشاف العلاج؟!!

ولماذا تغضب الطبيعة! – إذا كان العلمانيون أنفسهم يقولون أن الطبيعة هى مجموع القوانين المحايدة التى تعمل فى استطراد ورتابة وشمول – فكيف تغضب تلك القوانين، وتأخذ صفة طائفة ضد طائفة أخرى، وتقف مرة مع العلماء، ومرة أخرى ضدهم – وهل للطبيعة عواطف، وهل عندها محاباة، أم أنه الهَبَل العلمانى الذى يريد أن يتجنب أى ذكر للقوة الإلهية، ويريد أن يبتكر أى لفظة أخرى غير لفظة «الله» التى يبغضها.

يقول عاقلهم بل هى سذاجة من المذيع. فنحن لا نقول بأن الطبيعة تغضب، بل نقول عن هذه الحوادث إنها مصادفات وخبطات عشوائية.

ونسأل بدورنا: أهذه الطبيعة العمياء العشوائية هى التى طورت النملة وخلقت منها شكسبير كما يقولون، وطورت الميكروب وخلقت منه سقراط، وكيف يخلق الأعمى بصرا، وكيف يخلق الناقص كمالاً، ونصدق من؟ عاقلهم أم ساذجهم... أفتونا. انتهى.

إنهم يؤكدون على طرح فكرة «الله» كسبب أول وأوحد وقهرى للأسباب، ويعتقدون فى الأسباب ذاتها، ويعودون بها إلى نقطة البحث عن الخلية الأولى، ووحدة تكوينها (الچينة) وهى أصل البحث فيما يسمى بالهندسة الوراثية التى

تمكنوا بها من استنساخ النعجة « دوللى » الشهيرة، وبدأوا بعدها يعكفون على دراسة استنساخ الأجنة البشرية – مرجعيتهم فى ذلك أن الإنسان هو آخر ما قدمت الطبيعة وأنْتجت، وهو بذلك يمثل ذروةَ تطورها وحداثتها.

إنهم يؤكدون على طول الخط أنهم حزب الشيطان. وهم يسيرون في التيه والخسران لما قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعيهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، وهم أصدقاء الشيطان ورفاقه وقرنائه، كما حكى القرآن الكريم عنهم حين قوله تعالى: ﴿ **إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا * لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا** ﴾ [النساء: ١١٧–١٢١].

وقد صار لهؤلاء أتباعًا من بنى أوطاننا، وكونوا تجمعًا علمانيًا يقيم المناظرات المتعددة لمحاكمة ديننا الحنيف، وللسخرية من تراثنا الإسلامى كله، ويأكلون ويشربون على موائد الطعن فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى المحافل العامة.

وليس لهؤلاء لون تألفه العين، ولا ريح تطيب له النفس، ولا عهد يطمئن إليه البال – وذلك لأنهم لبسوا غير لباس، وصفقوا لكل من ركب، وهتفوا لأكثر من موكب، ورقصوا للعديد من الأنظمة، وقالوا بإخلاصهم لها، وأكدوا على زهوهم بالإنتماء إليها.

إنهم فئة من الناس تحار فيهم الألباب، وتضطرب بسببهم الخواطر، وتفتعل الهواجس، بسبب ما نرى فيهم من تغير جلدهم، واختلاف ألسنتهم وجلوسهم للأكل على كل الموائد.

إن هؤلاء وهؤلاء أعداء للدين بالضّرورة، إلا أن منهم من يظهر عداوته علنًا ويجاهر بها مباشرة مثل العلمانيين فى تركيا، ومنهم من يُخفونها إيثارًا للسلامة كما هو الحال فى بلادنا العربية والإسلامية – غير أنهم لن يصلوا إلى شىء ولن يحققوا آخر – فهم عاجزون حتى الآن عن تقديم ما يقبله العقل ويطمئن إليه القلب . وذلك لأنهم إلى الآن نكرة فى الشارع السياسى ولا وزن لهم عند الجماهير الواعية على الرغم من سطوتهم المفاجئة على وسائل الإعلام التى يتخذونها منابر للخطب والحوارات.

وقد التقى الماسونيون العرب مع التجمع العلمانى العربى والإسلامي وكوّنا سوياً عن قصد أو عن غير قصد غطاءُ شرعيًا لإرساليات التبشير كى تمارسها أنشطتها الخبيثة بحرية تامة بعد أن عمل الطرفان على نشر ثقافة حرية الأديان، أو بالتعبير الأدق ( حوار الأديان ) – أو بعبارة أخرى إطلاق حرية حق الإرتداد عن الإسلام وضمان أمن وسلامة ذلك المرتد، وإلغاء العقوبة الجنائية المقررة على إعلان الكفر والزندقة.

واتفقوا فيما بينهم على أن يدسوا لنا فى العسل السُم القاتل فى تأن وعلى مهل، من خلال الإطباق على العقول بواسطة أطباق استقبال الأقمار الصناعية التى تعلو القصور والڤيلات والعشش، هذا غير وسائل الفساد المجانيّة التى لا تحتاج فى استقبال موّادها إلى مُثيلاتها المبثوثة بواسطة الأقمار الصناعية.

وقد وصل هذا الفساد بكل أشكاله وأوجهه وأنماطه مباشرة إلى كل البيوت – بل – إلى غرف النوم عن طريق جهاز التليفزيون الذى صُنع أصلاً ليتتبّع المعرضين عن الشاشة الكبيرة ومن هجروها إما بسبب ضيق الوقت أو لضيق ذات اليد أو نفوراً من المادة المقدمة التى عكفت على تقديم أفلام الرعب والإثارة، وتدريس الأصول العلمية للسرقات والجريمة المنظمة وأفلام الخيال العلمى، وإظهار قوى الطبيعة، وخوارق الإنس، وأفلام الدعوات المجانيّة للإباحيّة والفوضوية التى لا تُضيف شيئًا إلا الإغراء بالانحلال، وتجعل الإنسان معزولاً تمامًا طيلة وقت جلوسه أمام الشاشة محبوسا فى عالم الصور والتوهان بعيداً عن قضايا دينه ووطنه بل وبيته.

وذلك لأن الرقيب فى حاجة إلى من يرقبه أو يراقبه – فهو لا يهتم بغير زيوع ثقافة المدنية الحديثة التى تعمل لتفريغ عقول الشباب، وغسيل أمخاخهم بالجنس وأفلام العنف والمخدرات – والمباريات – لينام الشباب ويصحى على الكرة ويبرز هنا سؤال مُلح يسبق كل الأسئلة ويتقدم عليها. وهو:

لماذا لا تقيم حكومات العالم الإسلامى ( الحرّة ) سداً منيعًا أمام هذه السيول الجارفة من الأفلام المستوردة أو المحلية على السواء، عن طريق إقامة رقابة فاعلة صارمة صالحة لمعالجة المواد التى تنشر أدب الإباحية والخلاعة والإستهتار والفساد فى أواسط المسلمين خاصة الأجيال الجديدة منهم، وأتساءل كذلك عن السر وراء الإصرار الشديد على عرض أفلام العنف والإجرام التى تطبع فى عقول الشباب هيستريا السلب والنهب والسرقة والسطو وفنون الجريمة المنظمة، بالإضافة إلى أفلام الإباحية التى لا تقدم إلا وقوداً لنار الرغبة ولهيب الجنس بإثارة عواطف الشباب وتحريك شعورهم واستنطاق جوارحهم فينصرفون عن الضرورات إلى المحظورات.

يا حكوماتنا المتدينة فى عالمنا العربى والإسلامى إن ناقوس الأخطار يدق منذ حين مؤكدا على أن المخطط يهدف إلى خلق جيل لا يشغله غير أعضائه التناسلية، واعتدال مزاجه كما ذاع بين الشباب الآن تعبير ( أنا عامل دماغ ) – عندئذ يصير من اليسير أن تقود امرأة هذا الجيل بأكمله إلى حيث أُمرت أن تقوده، إلى هناك حيث بيوت النساء، حيث تكون المرأة هى محور الحياة عندهم – فالأنثى هى الأصل، والرجل ( الذكر ) طارئ عليها، فلا ريبْ أن تكون المرأة فى هذه الثقافات محل العناية وبؤرة الإهتمامات فى الحكم والفن والسياسة، ولا حرج فى إبراز خصائصها من خلال منابر الحركة الماسونية المنتشرة فى ربوع العالم، عن طريق الحركات النسائية، والإتحادات النسائية العالمية، والمنظمات النسائية، ولا مانع من الترويج لشيوع سفور المرأة، وترحالها، لإشاعة الفوضوية، ولذلك يقولون فى شعاراتهم الهَدّامة التى انتقلت عدواها إلينا ( السيدات أولاً ) – Lady is First – مع تقبيل أيديهن – وذلك لأن المرأة هى التى تنجب الأمم وتنتجهم – فهى تاخذ لقاحها من أى ذكر كان ولا حرج فى هذا، ولا مانع ولا ضابط ولا رادع من قانون أخلاقى أو دينى . أيا كانت ملّة هذا الذكر – فتلد المولود ثم ترضعه الضغن والحقد على العالم كله – وترويه بعشق الذهب فى أى مكان وفى كل زمان، ثم هى تُلقّنه كيف يتفانى فى الحصول عليه ليتمكنوا من السيطرة على جموع البشر وهم أسباط – أىْ – فرق وأحزاب – لا يتحدوا فى شىء إلا عند مبارزة المسلمين وقتالهم ومناهضتهم، أما بينهم فقد أخبرنا الله تعالى به عند قوله سبحانه : ﴿ **بعضهم لبعض عدو** ﴾ [ الزخرف : ٦٧ ].

إن هؤلاء العلمانيون والدهرية سواء : هم يقولون « إنها أرحام تدفع وأرض تبلع » كما قال تعالى : ﴿ **نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾ [ الجاثية : ٢٤ ]، وقوله تعالى عنهم : ﴿ **نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين** ﴾ [ المؤمنون : ٣٧ ].

ويدّعون أن الحاصل إنما هو صروف الدهر وتصرفاته تتداول على الناس، وإن أحداً لا يضطهدهم أو يقهرهم أو يكافئهم فى السماء، فهم سواء فى رفض الغيب برمّته، ويهربون من تكليفات الدين إلى مختارات اجتماعية ومذاهب عقائدية فاسدة تلتقى جميعها فى كونها فلسفات مادية لا تحرم عليهم الملذات، ولا الإستمتاع بالشهوات، ولا تجبرهم على الطاعات وجملة التكليفات، ومن ثم فإنهم يجتنبون الدخول فى متاهات الأديان ومهاترات الأصولية.

وإذا كان أصحاب تلك المذاهب الفلسفية ينسبون إلى أنفسهم تقرير حرية الفرد فى عقيدته ويتباهون بأنهم أصحاب السبق فى براءة ذلك الإختراع، الذى

يضمن حق الفرد فى الإعتقاد فيما يشاء حتى ولو كانت روح «المبشرة العظيمة الأم تريزا» فلماذا إذا هذا العمل الشاق والجهد المضنى والأرق الشديد فى سبيل تنصير المسلمين وإخراجهم من دينهم على النحو الذى ذكرناهُ طيلة عرض موضوعنا هذا.

إنهم الحمقى – الجهلاء – المنكرون لحركة التاريخ والفكر الإنسانى.

فمن عظمة الدين الإسلامى أنه أقر حرية العقيدة وضمنها، ونفى تمامًا إكراه الناس على الدخول فى أشرف الديانات وأعلاها وأوثقها عند الله تعالى لما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل عمران: ١٩] ونهى تمامًا عن قهر أى إنسان على إشهار إسلامه: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [البقرة: ٢٥٦] حتى ولو كان الذى يُكرِهُ الناس هو أرحمُ الناسُ بالناسِ، فخاطب الحق جل وعلا رسوله ﷺ ﴿**أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ٩٩] وقدر سبحانه وتعالى على أن جَبْر الناس هو شأنه وحده ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ [هود: ١١٨] وأخبر رسوله ﷺ إما نهيًا وإما تقريرًا ﴿**لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ**﴾ [الغاشية: ٢٢].

أى أن الله تعالى ضمن فى قرآنه الكريم الحق المطلق والحرية الواسعة لعامة الناس فى اختيار معبودهم، وعلى ذلك فلكل إنسان الحق فى إختيار عقيدته وأسلوب تفكيره.

غير أن تلك الفئات (العلمانية، الدهرية، الماسونية) وغيرهم نَسوا أو تناسوا أن للحرية ضوابط – أولُها أنك حر ما لم تضر، أنت حر فى أن ترفع يدك وتنزل بها على صفحة وجهك لا على وجوه الآخرين، وأنت حر كذلك فى أن تضع رجلك على قفاك لا على رقاب الآخرين، فالكل فى حق الحياة سواء، وليعلم الجميع أن مجرد التجاوز بالتفكير فى فرض تلك المعتقدات التالفة عبر وسائل الإعلام المتنوعة من خلال الحملات المنظمة والمنتظمة التى تهدف نهاية إلى حصار الدين وانحساره والإساءة إليه، والتطاول على أهله لهو فتنة عظمى وطامة كبرى، لأن مجرد الشروع فى هذا باطل وفاسد، وهو حتما يؤدى إلى شحناء وعداوات ومصادمات لا بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى بل فيما بين المسلمين بعضهم فى بعض.

فالذى اختار العلمانيّة عقيدة، والماسونية مذهبا من بنى أوطاننا، لهُو حرٌّ فى اختياره – لكنه ليس حُرًا فى التصدى للآخرين فمهما حاز هؤلاء من أدوات ومهما أوتوا من قوة، وأيا كان بُعد نفيرهم وَمَداهُ، فإنهم لن يستطيعوا زراعة بذور الفساد، وغرس شتلات التخريب والإرهاب فى بلادنا مهبط الديانات، وأرض الأنبياء والرسل، وليرتَدُوا نسيجهم وليرتَدُّوا على أعقابهم خاسئين – خسروا الدنيا والآخرة– ألا ذلك هو الخسران المبين.

إننا أصحاب ميراث هائل من النور والهدى جاءنا من عند الله ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥] والنور ههنا يراد به سيدنا محمد ﷺ، وكذلك فإن النور يراد به أخرى فى موضع آخر كقوله تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن: ٨] وهو ههنا القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ، وقد ائتمننا الله جل وعلا على ثروة هى أعظم الثروات على إطلاقها، وقد أحسن الأجداد توظيفها وتوجيهها، فصنعوا حضارة هى أعظم الحضارات التى عرفتها البشرية.

فلنَنْتبه ولنتَنَبّه جيداً، فميراثنا الهائل أمانة عظيمة، أما الأعظم فهو الحفاظُ عليها، وإعمالها للأخذ بيد البشرية كلها التى أخلدت إلى الدنيا وشهواتها، ورقدت على الأرض بفعل العسل المسموم...

فلا يجب التسليم ولا الإستسلام أمام أصحاب هذه المذاهب الفلسفية الظنية ولننتفض ما لم يكن لأجل انتشال الإنسانية من مستنقع الجهل والتخلف، وعبور الدنيا حتمية المآل والمصير التراجيدى إلى الرحاب الإيمانية، والآفاق العلوية الربانية. فليكن على الأقل لحماية قيمنا من التهدم وأخلاقنا من التفلُّت، ومبادئنا من الإنهيار، وتراثنا من التحول، وحضارتنا من التسرطن.

* * *

## ثالثًا: اللقيطة والعسل المسموم

استنّ النظام العالمى الجديد (عالم اللانظام) بعضًا من التشريعات والقوانين القهرية، وجميعها من صُنع وحيد القرن، الذى اتخذها أداة ليقضى بها على آمال الشعوب، وليسحق بها إنجازات الأمم التى لا تدور فى فلكه الأيديولوجى والسياسى وخرجت على الطاعة الأمريكية وناصبتها العداء أو المناوءة.

وقد اتخذت الولايات المتحدة لتطبيق نظام اللانظام الذى استحدثته لبسط سيادتها، وفرض هيمنتها مجموعة من التدابير والإجراءات من أهمها الفساد المتعمّد، وتدريس أصول الجريمة، وسرعة زيوعها، واستعمال الجواسيس ونشر الإرهاب، وإثارة النزاعات، وزعزعة الأمن والإستقرار، ونشر ثقافة الرشوة والمحسوبية، وعودة الألقاب، وجنون الكرة، وتقديس الجنس، وعبادة المرأة، وهلوسة الحب، وإفساد العلاقة بين الحكام والمحكومين، وإقحام العالم الإسلامى كله فى دوامة الإرهاب التى ألصقوا بها بطاقة «الإرهاب الإسلامى» واستعملوا لها الحاقدين، والعاطلين، والخارجين، والمارقين – خاصة فى مصر القبلة السياسية للعالمين العربى والإسلامى، لضرب السياحة،

وتشجيع الإستثمار على الهجرة العكسية لإضعاف الإقتصاد الوطنى المصرى برمته. فتموت أحلام الشباب وتتبدد طاقاته، ويُقتل فيه كل شيء نافع، ويعيش الجميع فى عبثية فكرية وهمجية اجتماعية ، وفوضوية أخلاقية.

بينما تتكلف الولايات المتحدة والغرب إلى جانبها سيولاً من الدولارات التى تتدفق على دول العالم عبر قنوات خفية، إلى شخصيات إجرامية تنوب عنهم فى قضاء مصالحهم وتأمين منافعهم، ولتستعملهم أجهزة المخابرات الأمريكية لتخريب البيت الإسلامى وتقويضه من داخله، واجتثاثه من جذوره، ليتمكن وحيد القرن من الوقوف على أطلال الحضارة الإسلامية قاطبة ثم الإنطلاق نحو خطوات أخرى تالية على طريق إحكام سيطرتهم على العالم – بعد أن يكون قد انتاب أنظمته الضعف، وهاجمتها الشيخوخة، وبدأ انحدارها لتنتهى بالسقوط الذى لا قيام منه.

وكان آخر تلك الأدوات وأهمها ذلك الذى يسمى بمشروع السلام « الإسرائيلى – العربى » إسرائيل زراعة الإصرار العمد، والتخطيط الجيد « الأوروبى الأمريكى »، وحصاد مخططاتهما وهى المطرقة اليهودية التى تدق على رؤوس العرب الواقعين بين سندان التراشق بالإتهامات والإحتلافات، والشقاقات والنفاق، والعراك والمهاترات التى لا تنتهى، حتى أعجزت الأمة عن التصرف كأمة واحدة تتحدث لغة واحدة، وتؤمن بإله واحد، وهى مع ذلك تواجه خطراً واحداً كائناً على أعتابها، فلم تنهض حتى الآن لدفعه أو إفساده، وبين المطرقة التى زودها الغرب بكل الطاقات والقدرات العسكرية حتى باتت إسرائيل تدعمها الولايات المتحدة بعملقتها الجبارة، وقوتها الرهيبة، وترساناتها النووية، ومخابراتها، وبوارجها، وغواصاتها، وأقمارها الهائلة، حتى باتت وكأنها تمتلك فعلاً ترسانات الأسلحة النووية الإسرائيلية، والأوروبية، والأمريكية . لتتمكن إسرائيل من الإمساك بمفتاح أمن المنطقة والعالم.

ذلك هو الأمن بالمفْهُوم الإسرائيلى، والسلام الأمريكى الذى نحاول أن نتسوله وتلك هى الصفاقة ( عفواً ) الصداقة الأمريكية للشعوب العربية.

وكما ذكرنا سابقاً فإن إسرائيل تجلس منفردة على مقعد الإرهاب العالمى كله، وهى تُديرُه بإحكام شديد، وفى ذكاء قاتل من خلف الساتر الأمريكى المضلل، وعليه فإنها باتت وهى المصدر الأول لتهريب الأسلحة إلى بؤر التوتر، والصراعات، والإرهاب الذى صنعوه، كما أنها القاسم المشترك الأول فى ضرْبِ النظم الإسلامية ومناهضة الإسلام فى كل مكان.

إنها إسرائيل التى تسللت إلى دوائر صنع القرار السياسى فى الإدارات الأمريكية منذ عقود ماضية، وصارت لها من يمثلها فى المطبخ السياسى الأمريكى، إلحاقاً على مثل ذلك فى العديد من الدول الأوروبية وفى طليعتها بريطانيا.

والآن، ومع الانتكاسات المتتالية أصبح للإسرائيليين من يمثلهم فى الداخل العربى والإسلامى ذاته عن طريق المنابر الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية خاصة فى الفضائيات والصحافة، وما ذلك غير محاولات جادة لضرب الإسلام ! أو تدرى لماذا؟

لأنهم يمقتون الدين الإسلامى مقت الموت !!!

أو تدرى لماذا..؟

لأن القرآن الكريم فضح ما يدبرونه، وما يُبيّتُونه وما يفعلونه، وكما فضح سابقًا مؤامراتهم، وفى القديم قرر كذلك وعد الصدق الذى ينتظرهم والمآل الحتمى المنتهى إليه مصيرهم عما قريب إن شاء الله تعالى. وقد ذكر القرآن الكريم ذلك فى غير موضع وقد أكد الحق تبارك وتعالى على أنهم أهل الفساد وأصحابه وأنهم الأساتذة فى صناعة الفتن وإيقاد نار الحروب وأنهم باءوا بغضب الله وببغضه، كقوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [المائدة: ٦٤]

إنها إسرائيل سلطانة الإرهاب فى العالم، وهى الأم الشرعية للتآمر، ومُرضعته وهى التى وضعت المنهج اللئيم للإبتزاز والتخويف والهلاك، كما أنها تتظاهر بأنها ترفع راية السلام والصداقة، وهى تقدم كل ساعة دليلاً قويًا وبرهانًا عمليًا على خبث فكرها ولؤم ساستها وشراسة مجتمعها العسكرى الذى لا يتعامل مع العرب تعامل الند للند، إنما هى تنظر إليهم على أنهم جنس أدنى، ورُتبة أقل انطلاقًا من عقيدتهم الضالة بأنهم شعب الله المختار، المؤمن بعقيدته الضالة التى تؤكد للإسرائيليين ( أن إبادة الشعوب العربية والإسلامية واجب توراتى مقدس ) – إنها العنصرية المتعالية الشاذة التى أكدت عليها الفتوى التى قالها كبير حاخامات مستوطنة كريات أربع والتى نشرتها جميع الصحف الإسرائيلية قبيل منتصف التسعينات، والتى أفتى فيها بشرعية قتل وإبادة الجنس العربى ( مسلم كان أو مسيحى ) سواء فى ذلك المعتدلين والأصوليين المتشددين والإرهابيين وقال فيها: «إن قتل غير اليهودى هو عمل أخلاقى لا غبار عليه – أى – أنه يقرر تجاوز حدود الإرهاب الإسرائيلى لحدود كيانهم الصهيونى القابع على صدر فلسطين المحتلة ليعبر إلى افاق أوسع وأشمل أى أن أتباع الديانات الأخرى وأصحاب العقائد الظنية جميعهم فى مرمى الناشنكاه الإسرائيلى بدءًا بالمسلمين وانتهاء بعبدة الشيطان، وأن الضغط على الزناد بات فى وضع الإستعداد حتى يحين الوقت المناسب وتلوح فى الأفق ملامح الفرصة التى يتربصونها ويتحينونها، بيد أن العرب يحتلون المراكز المتقدمة ويحظون بالأولوية المطلقة فى هذا المخطط الدنىء، وذاكرة التاريخ حبلى ببغيهم وعنادهم.

## ( أ ) الفتوى النموذجية
## قتل الفلسطينيين حلال

إنها فتوى أشهر حامات الضفة الغربية الذى أكد على أن الامتناع عن قتل الفلسطينيين أكبر حرام وتابع فتواه فقال إن الضابط أو العسكرى الإسرائيلى الذى يرفض قتل الفلسطينيين لابُدّ وأن يتم إعدامه.

إنه ( شلومو أفنير ) الحاخام الذى أبى إلا أن يدلى بدلوه فى الإرهاب الإسرائيلى الجديد. وقد قال صراحة – : إن الذين يقيمون على أرض إسرائيل ( فلسطين المحتلة – التاريخية ) هم عرب وجب ترحيلهم أو قتلهم، وأنهم – أى – الفلسطينيين عليهم أن يضيقوا من أحلام اتفاق أوسلو، فالإتفاقية كانت غلطة ولن تتكرر، وذلك لأن الشعب اليهودى حسب قول الحاخام هبط فى منطقة صعبة وعليهم أن لا يأمنوا لمن حولهم، لأنه يرى أن لا أمل فى أن يتغير الجيران العرب بين يوم وليلة إلى بَشَرٍ لطفاء يحبون السلام ويؤمنون به، فالجيران حسب رؤيته لا ينفع معهم سوى شىء واحد هو الردع والتخويف... إذا كان هؤلاء سيصبحون قوما هادئين صامتين، فالردع والتخويف أسلوب أخلاقى فى التربية، فالإنسان الضعيف حسب زعمه من مصلحته أن تفرض عليه أسلوب الردع، ونحن شعب فى غاية اللطف حتى عندما نقبض على ( المخربين ) – يعنىَ الفلسطينيين يتم ذلك بمنتهى الذوق ومراعاة مشاعرهم[1].

وقد جاء فى فتوى « شلومو » صراحة ما يبيح إهدار دم اليهود سواء أكانوا العسكريين أو الشعبيين أو أبناء الطائفة الدينية الذين يرفضون التضحية من أجل الأرض المقدسة وتطهيرها من الشعب الفلسطينى غير المعترف بفكرة وجوده، وإذا كان فى هذا أحد آراء رجال الدين اليهودى، وقد أحل سفك الدماء، وإزهاق الأرواح، وسحق الضعفاء.

فما هو إذن الرأى الأكثر شيوعًا عند عمدة الإرهاب وسلطانه – أى – أن المراد هو الإجابة على السؤال الآتى:

كيف يكون إرهاب الدولة؟ إنه هو الإرهاب المدروس، المنظم، المقنن الذى يحاول بسط هيمنته بالبلطجة، ظنًا منه أنه عمدة الإرهاب الممسك بمقاليد البدء فى المبادرة بتحديد مصير شعوب المنطقة، وتشكيل السياسة الدولية.

---

( ١ ) مجلة أكتوبر ص٢٨ ع: ١٣٤٧ الأحد ١٨/٨/٢٠٠٢.

غير أن هذا السلطان نسى أو تناسى أن القوة تخضعه وأن اللطم على قفاه يذله، فأخذ يعربد تارة هنا وتارة هناك ،ويهدد ويقصف ويقتل ويدمر تحت حراسة مشددة من الوجود الأمريكى الحقيقى والمكثف فى المنطقة الذى جاء إليها لإعادة تشكيل خريطتها ورسم سياستها وتسخير طاقاتها لخدمة الاقتصاد الإسرائيلى الذى يؤهلونه لابتلاع ثروات المنطقة بأكملها. وهو عين الإرهاب الدولى المشترك ضد العالم العربى والإسلامى الذى أُحلَّ سفك دمه بحجة محاربة الإرهاب الدولى. وهو الطعم الذى ابتلعه العرب وشربوا بعده كأس العسل الذى دُس به السم.

## (ب) حَرْب المياه

احتفل لبنان الشقيق فى الأربعاء ٢٦ / ١٠ / ٢٠٠٢م بضخ مياه نبع الوزانى لتروى ظمأ ( ٢٥ ) قَرْية، وستين بلدة تابعة فى الصعيد اللبنانى، وقد حُرمت جميعها من المياه العذبة منذ فترات طويلة، وقد تم الاحتفال وسط وجُود مكثف للجيش اللبنانى، وقوات حزب الله، والمقاومة اللبنانية، وبحضور الرئيس اللبنانى ( أميل لحود ) الذى فاجا الحضور بوصوله للمشاركة فى تلك المناسبة التاريخية التى حضرتها جميع القوى السياسية الطائفية اللبنانية، كما شارك فى الاحتفال السفراء العرب المعتمدون فى لبنان، وممثلون عن جميع الدول الأوروبية، بينما قاطعته أمريكا التى سارت كالعادة على هدى الموقف الإسرائيلى.

أما إسرائيل فقد أنكرت على لبنان حقه فى استخدام موارده المائية، وثرواته الطبيعية، ليظل الجنوب اللبنانى يعانى من معوقات التنمية الاقتصادية والبشرية والاجتماعية.

وفى أول رد فعل رسمى إسرائيلى أعلن « شيمون بيريز » وزير « الحقيبة الفارغة » أن إسرائيل تحتفظ بحقها فى الدفاع عما وصفه بمواردها المائية، وأنها – إسرائيل – لن تقبل بتدابير من جانب واحد ولها أن تدافع عنها طبقاً للقانون الدولى.

أما شارون رئيس الوزراء فقد أطلق تهديدات قوية ومباشرة ضد لبنان متهما إياه بسرقة المياه التى تغذى بحيرة طبرية، والعمل على تجفيفها وهى المصدر الرئيسى للمياه العذبة فى إسرائيل.

وحمل شارون بعنف « وبقلة أدب » على الحكومة اللبنانية وحزب الله، مؤكداً

استعداده للتدخل العسكرى الفورى للحيلولة دون استكمال المشروع بالقوة، والتهديد بنسف ما تم إنجازه على أرض الواقع، وزعم فى تصريحاته للتليفزيون الإسرائيلى، ومندوبى الصحافة العالمية أن ما أقدم لبنان على تنفيذه هو عمل استفزازى من جانب اللبنانيين لأن مياه نهر الليطانى (على حد قوله) تذهب هدراً إلى البحر، وأنه بإمكان لبنان الاستفادة منها والاستغناء عن نبع الوزانى.

وجاء رد الأمين العام لحزب الله سماحة الشيخ القائد الفذ «حسن نصر الله» حاسماً وقوياً وبليغاً، فقد أعلن الشيخ استعداد رجال حزبه للرد على أى اعتداء إسرائيلى على مشروع الوزانى، وأكد أن المقاومة جاهزة للرد خلال دقائق على أى اعتداء إسرائيلى محتمل على مُنْشآت المشروع، وأوضح مجاهراً أن الرد سيكون بضرب أهداف إسرائيلية منتقاة، ومحددة سلفاً وأنها مرصودة بدقة، وأضاف أننا جاهزون لمواجهتها، وأكد الشيخ على أن لبنان سيستعيد حقه فى المياه دون قيد أو شرط، ودون أى وعود أو ضمانات لأحد.

أما الرئيس اللبنانى «أميل لحود» فقد علق على تلك التهديدات الغوغائية، والتصريحات الإسرائيلية الاستفزازية بقوله: ان هذه التهديدات لن تحول دون حصول لبنان على حقوقه المشروعة فى مياهه، وطالب لحود الأمم المتحدة، والاتحاد الأوروبى، والولايات المتحدة، اتخاذ ما يرونه مناسباً لردع هذه التهديدات، والاعتداءات المتكررة من جانب الإسرائيليين.

ومن جانبه فقد أكد رئيس الوزراء اللبنانى «رفيق الحريرى» رفضه القاطع للتهديدات الإسرائيلية، وأعلن رفضه لاقتراحات شارون بالاكتفاء باستخدام مياه نهر الليطانى بدلاً من الوزانى الذى ينتهى رافده عند الحاصبانى شمال فلسطين المحتلة (إسرائيل) وشدد على أن لبنان سيمضى قدما فى تنفيذ مشروعه الوطنى لنقل (٩٠٠,٠٠٠) متر مكعب من مياه الوزانى بدلاً من (٧٠٠,٠٠٠) إلى قرى الجنوب المحرومة قبل أن تنساب إلى نهر الأردن وبحيرة طبرية.

وفى محاولة نشطة تستهدف تخفيف حدة التوتر أوفدت الولايات المتحدة مبعوثاً لها لتهدئة الموقف حتى لا ينفجر الصراع فى الأزمة الراهنة آنذاك، حتى لا تعرقل هذه التطورات التحضيرات العسكرية التى تقوم بها استعداداً لغزو وشيك للعراق (آنذاك).

كما أوفد الأمين العام للأمم المتحدة مبعوثه (تيرى لارسن) إلى المنطقة للقيام بمهام مكوكية بين تل أبيب وبيروت[1].

ومن جانبها فقد تمادت إسرائيل فى ادعاءاتها عن طريق وزرائها الموفدين إلى

---

(١) مجلة أكتوبر الأربعاء ١٦ / ١٠ / ٢٠٠٢ - ع ١٣٥٦ ص ١٧.

أوروبا فى محاولة دنيئة ومغرضة ضد لبنان – فحواها أن لبنان يعتزم تحويل مياه نهر « الحاصبانى » الذى ينبع من لبنان، ويسير مسافة ٥٠ كم فى أراضيه قبل أن يصب فى بحيرة طبرية، ومن ثم فإنه يحرم إسرائيل من أهم مصدر للمياه العذبة.

وقد باءت المساعى الإسرائيلية بالفشل، وتجلى كذب ادعاءاتها أمام الخبراء الأمريكيين والأوروبيين الذين جاؤا إلى المنطقة لدراسة المشكلة ومعاينتها على الطبيعة، والتعرف على المشروع اللبنانى وقراءة أبجدياته.

وتشير الشواهد إلى أن منطقة الشرق الأوسط ستصبح عما قريب ميداناً كبيراً لحرب المياه، التى بدأت مقدماتها منذ فترة من الوقت خاصة بعد أن ثبتت فعلاً أن إسرائيل تقوم بسرقة المياه من نهر الليطانى، ونهر الأردن، بالإضافة إلى سرقة المياه الجوفية التى يتم سحبها من تحت أراضى الضفة الغربية لزراعة أراضى الإسرائيليين – بينما هناك ما يقرب من المائة ألف عربى فى المنطقة العربية من الهلال الخصيب وفى جنوبه، يعيشون على حصة مائية محدودة، وهم لا يملكون تدفقها ولا استمرارها لأن « مخبس » هذه المياه فى يد الأتراك الذين ارتبطوا مع الإسرائيليين بمعاهدات مياه طويلة الأجل.

ومن ثم فإن تركيا سوف تفتح المياه لمن شاءت وقت أن تشاء، طالما لم تتمكن دول جوارها العربى من توقيع بروتوكولات أو اتفاقيات رسمية تضمن الوفاء الدائم بحصصها واحتياجاتها من المياه العذبة التى تنهال من الأراضى التركية، بينما تمكنت إسرائيل من تحقيق نصر كبير، ومكسب عظيم، بعد أن نجحت فى استثمار التوترات العربية التركية فى الآونة الأخيرة، فاستطاعت توقيع اتفاقيات سياسية وعسكرية ومائية تضمن لها تعاونا فى كل المجالات وفى مقدمتها ما يضمن لها شراء الحصص التركية فى المستقبل.

وإذا انتقلنا إلى مصر لوجدناها تعتمد اعتمادا كلياً على مياه النيل القادمة من منطقتى الوسط والشرق الأفريقى، وهى المناطق التى كثيراً ما تتعرض لكوارث الجفاف الطويلة، كما تعتمد كذلك على المياه الجوفية فى سيناء، وفى الصحراء الغربية ( الوادى الجديد، سيوة ) وآبار أخرى متفرقة، بالإضافة إلى قليل تعتمد على مياه الأمطار فى أقصى الشمال الغربى. وكل هذه المصادر غير آمنة، وغير كافية إذا ما استثنينا نهر النيل فى الاعتماد على تلك المصادر.

أما نهر « النيل العظيم » فإنه سيكون عرضة فى السنوات القادمة لموجات من التدخل العدوانى السافر الذى يتمثل فى إقامة السدود على مجريات الأنهار والروافد المغذية له، وهو احتمال تنكره الأطراف صاحبة المصالح الاستراتيجية فى أفريقيا والتى يأتى على رأس أولوياتها مشروع تقسيم السودان تحت شعار ( حق تقرير المصير – إياه ) – وهو طليعة المشاريع الاستعمارية المتوغلة والمتغلغلة فى مناطق الوسط والقرن

الأفريقى خاصة، وعلى الرغم من إنكار هذه الأطراف الدائم لهذه الفكرة إلا أنها ستصبح الخيار الاستراتيجى الأول ( رقم ١ ) ضد مصر، وخصوصاً إذا ما شرع الأردن وإسرائيل فى تنفيذ مشروعهما المشترك بحفر قناة بين البحرين وتحقيق حلم هيرتزل القديم، وهو المشروع الصهيونى الذى روج له الأردن العربى.

إن المياه تحتل رأس الأولويات الأستراتيجية فى السياسة الإسرائيلية، وهى تمثل صلب العقيدة الصهيونية من أساسها، وما يؤكد هذا القول أن ما كان يسمى بمباحثات السلام على المسار السورى الإسرائيلى قد توقف إلى غير رجعة، بسبب الاصرار الإسرائيلى على التمسك الأبدى ببحيرة طبرية، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن قضية المياه تؤثر فى المفهوم الفكرى لنظرية الأمن لدى إسرائيل.

إذ أن وفرة المياه تعنى استمرار القدرة على التنمية والتطوير، لا من أجل ضمان التفوق العسكرى والنوعى والتقنى على دول الجوار فحسب، بل على العالم العربى كله، وبهذا المفهوم تجتهد إسرائيل على أن تبقى دائماً هى المسيطرة وبشكل مطلق على مصادر المياه سواء فى فلسطين التاريخية أو فى دول الجوار، لرغبتها الجامحة فى السيطرة الكاملة على المياه العذبة ومصادرها، باعتبارها حقا إسرائيليا مشروعاً لا يقبل المساس أو النقاش فتوجهت شمالاً سلماً صوب تركيا، ثم توجهت عسكرياً صوب الجنوب، وأقحمت نفسها عنوة فى الصراع الدائر منذ ما يزيد على الربع قرن من الزمان، والذى أسفر عن مقتل أكثر من مليون ونصف المليون شخص، وتهجير ونزوح ما لا يقل عن أربعة ملايين آخرين بالاضافة إلى التهام المكاسب السودانية فى شتى الميادين، وذلك بسبب مطالبة الجنوب السودانى بالانفصال عن حكومة الخرطوم المركزية. يدعمه فى مطلبه كل من الفاتيكان وبريطانيا وأمريكا، وبتدخل إسرائيلى مباشر على مستويات التدريب، والاعداد، والتخطيط، والتمويل.

ولأن إسرائيل تؤمن يقينا بأنها لن تكون إسرائيل القوية إلا على حساب مصر الضعيفة، فقد كثفت مجهوداتها لتصل إلى الجنوب السودانى ودول جواره، وتحالفت مع القوى المعادية، بعد أن حددت أهدافها التى ذهبت لأجلها، وفى طليعتها الاضرار بمصر، عن طريق إغراء حكومات تلك المناطق بحل مشكلات الفقر، وإقامة نهضة شاملة تنموية زراعية وصناعية وبشرية وتكنولوجية – مع الترويج بأن ذلك لن يكون بغير إقامة السدود على مصاب الأنهار عند منابع النيل وتحويل مسار روافده ما تيسر، وبالتالى فإن مصر ستتضرر ضرراً مباشراً وبليغاً، وسوف يتعين عليها آنئذ البحث عن حلول لمشاكلها المائية التى تهدد وجودها فى مقتل.

فلا يصبح أمامها غير التفاوض مع الشركات المالكة لتلك السدود، وحكومات

الدول التى تقع فيها السدود، وكلها حكومات مخترقة بالتمام، الأمر الذى يعنى فى نهاية المطاف تزويد إسرائيل بمياه النيل لزراعة صحراء النقب الواسعة.

وهكذا تشير الشواهد إلى احتمال نشوب حرب المياه عما قريب وعلى جبهتين، ويحتدم الصراع ويتطور الحوار.

* * *

## (جـ) اللهيب

لا يختلف اثنان ممن يقرأون الأحداث ويستوعبون ما بين سطورها على أن الولايات المتحدة الأمريكية هى دولة استعمارية من طراز فريد، وأنها القاعدة الأولى التى بُنى عليها الارهاب الدولى بكل صوره وأشكاله، كما أنّها هى التى تحدد له مساراته وتدعمهُ بأدواته، بغرض خلق مناطق ساخنة وحدود ملتهبة ومشاكل مزمنة فى شتى بقاع العالم، وهى وحدها تمسك بمفاتيح الحلول، وخططها، بحيث يعجز العالم عن إيجاد صيغة مقبولة لحلول مشاكله، فيلجأ مكرها إلى الارتماء بأحضان الأمريكيين.

والشاهد الحى على ذلك أن مشكلة الشرق الأوسط منذ صدور قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الأمم المتحدة برقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧م وحتى الآن، وعلى الرغم من قيام إسرائيل فى ٥ / يونيو / ١٩٦٧م بعدوانها السافر على الأراضى العربية واستيلائها على الأراضى التى خصصها القرار للفلسطينيين، وتجرؤها بإعلانها ضم القدس إلى أراضيها، وتأكيدها على أنها لن تعود إلى العرب مرة أخرى بعد أن أصدر الكنيست عدة قرارات بضمها نهائياً إلى إسرائيل – أى – التأكيد على تجنيبها لأية مفاوضات مقبلة مع العرب، وعلى الرغم من احتلالها أراضى عربية لازالت تحت سيطرتها إلى الآن. إلا أن الولايات المتحدة لم تقرر بعد القضاء على أسباب النزاع، وحل الصراع الذى تجاوز عمره أكثر من نصف قرن رغم احتكارها وحدها لمفاتيح السلام فى المنطقة والعالم.

ولم تستطع الولايات المتحدة حسم حربها على اليابان بغير القنبلة الذرية ودخلت فى صراعات مع كمبوديا وفيتنام، وتورطت فى حروب كثيرة وضربت بطائراتها ليبيا عند منتصف الثمانينات، وأرسلت طائراتها المقاتلة لخطف طائرة مصرية مدنية تقل أحد القيادات الفلسطينية من القاهرة إلى تونس فى فترة ولاية «رونالد ريجان» – ، وألقت عشرات الآلاف من أطنان القنابل والصواريخ على أفغانستان، وقصفت أهدافاً بالطائرات فى اليمن، وأخرى بالصواريخ العابرة فى السودان، واحتلت مؤخراً العراق، ووفرت غطاءات كبرى لإبادة المسلمين على نحو ما ذكرنا وما سيرد منه.

وفى الوقت الذى يتشدق فيه القادة والسياسيون الأمريكيون بالكلام عن السلام وتأكيد شعاراتهم الراقة فى نيل صداقة شعوب العالم، ونشر ثقافة الشعار الماسونى الصهيونى المسمم ( الحرية، والإخاء، والمساواة ) ويؤكدون فى المحافل الدولية على تعميق حقوق الإنسان والتأكيد عليها، يبرز دور السى. آى. ايه » فى تمويل العصابات الإجرامية ( الإرهابيين ) الذين هم من صنع أمريكا ذاتها.

ولازلنا نذكر عبقرية الأمريكيين الذين حملوا على عاتقهم تحرير أفغانستان من الاحتلال السوفيتى، وتَبَنّى قضايا المسلمين، فدفعت أمريكا للقائد الأفغانى « قلب الدين حكمتيار »- ألف مليون دولار خلال فترة الحرب ضد الروس. حتى تم دحر الاحتلال الروسى وطرده منكسرا ذليلا.

بيد أن ذلك الدعم لم يكن حباً فى المسلمين، ومساعدتهم فى الحصول على تحرير النفس والإرادة من المحتل الدخيل، لإنها فى الحقيقة لا تريد للراية الإسلامية أن ترتفع، ولا للعالم الإسلامى أن يتقدم ويزدهر.

ولذلك سرعان ما دخلت الولايات المتحدة فى مواجهة صريحة وواضحة مع ما دبرت عقُول ساستها ومخابراتها وما صنعت يداها من الإرهابيين الذين اصطنعتهم لنفسها وعلى عينها وبتمويلها، بعد أحداث ١١/ ٩/ ٢٠٠١م.

وظهر جليا ما سمعنا به وَبَرزَ على الساحة الأيديولوجية المسمى ( صدام الحضارات )، وهو المعترك الذى بدت فيه الدول العربية والعالم الإسلامى كله وهم عاجزون جميعاً مستكينين وكأنهم على رؤوسهم الطير لا يَسْتطيعون حتى مجرد الوقوف فى موقف الدفاع عن أنفسهم أمام الاتهامات الأمريكية العلنية بانهم ارهابيون، وقد ربطت بين الإسلاميين، والإرهاب كظاهرة، من دون سبب جوهرى، وبلا مبرر شرعى، غير ما ادعت به الولايات المتحدة وتسببت فى حدوثه ثم نسبته فى نهاية المطاف إلى المسلمين، والمحسوبين على الإسلام.

استمرت الولايات المتحدة فى تفعيل مخططاتها، وبث سمومها حتى ترسخ فى الوجدان الأمريكى، واستقر فى العقل الغربى وسواس مرض أَوْشَكَ أن يغتال العقل الغربى عامة، وهو العمل المستمر على مناهضة الظاهرة الإسلامية وحصارها، وضرب المسلمين فى كل مكان وحين، وتشويههم، والإساءة إليهم لأن ذلك يأتى فى إطار مفاهيم الحلول الوقائية التى تفضى إلى الحروب الاستباقية ( الوقائية )، وهى كذلك تمثل سياسات أمنية مريحة وشافية من هاجس مزعج يسمونه ( الإرهاب الإسلامى ) الذى يشبه سرطانا لا يعلم مدى خطورته وحجم تأثيره أحد من بنى البشر.

وهذا هو الخطر المصنوع، والذعر المفتعل، خاصة مع التأكيد على أن الإرهابيين الذين صنعتهم السى آى إى، والموساد هم إرهابيين مسلمين.

بينما تؤكد الدلائل أن (الموساد الإسرائيلى، و CIA) دون سواهم هم صناع هذا الإرهاب الخسيس الذى يهدف إلى تشويه الإسلام وتبرير هدمه وقتل أتباعه، كما يرمى كذلك إلى زعزعة نظم الحكم فى العالم الإسلامى، وإفقار المسلمين وتجويعهم، ليقف الجميع أمام العتبات الأمريكية متسولين للصداقة الأمريكية، والسلام الأمريكى، والقمح والأمريكى.

أما عالمنا الإسلامى من دون استثناء، أخذ قادته ومسئولوه يبحثون عن تصحيح صورة بلادهم، واجتهد المثقفون، والمفكرون، والسياسيون فى نفى التهمة عن بلادهم، وحاول الكثيرون الحديث عن حقيقة الإسلام، وشرح سماحته، وبيان رسالته فى المحافل الدولية، والمنتديات العالمية، كما اجتهدوا كثيراً فى سبيل تصحيح صورتنا التى تم تشويهها عمداً، وكأنهم آسفون نادمون متحسرون وبشدة على أحداث ٩/١١، وأصرت الصحافة العربية يُساندها الإعلام الرسمى على مسايرة اللحن الأمريكى الأوروبى والرقص على إيقاع القول بأنهم إسلاميون. وهو اللحن الذى لا يهدف إلى هَدف سوى الإساءة إلى الإسلام، وتشويه رسالته، وتبرير اجتثاثه من جذوره.

وقد فات هؤلاء من بنى ديننا وأوطاننا أن تداعيات سبتمبر كانت آتية آتية، سواء وقعت هذه الأحداث أو لم تقع، سواء كذلك أنها وقعت فى سبتمبر أو إبريل التى كانت سببا ظاهرا لظاهرة جديدة أخرجها الأمريكون إلى الوجود، تلك هى ظاهرة العقاب العالمى الجديد، أو تأديب العالم من جديد، كمرادف لنظام أسموه النظام العالمى الجديد الذى استعانت لأجله الولايات المتحدة بطغيانها وجبروتها وقوتها وسلاحها، كى تفرض هيمنتها على العالم، ابتداء بالشعوب المقهورة التى لا تملك إلا التوقيع على عقد إذعان للدولة الأعظم فى ظل نظام اللانظام الأمريكى الجديد.

وقد تسابقت الدول الإسلامية إلى تقبيل العتبات، وإعلان الرغبات فى التعاون البنّاء مع «وحيد القرن» الذى تجهّز تماماً وبدأ ينقض للقضاء على الإسلام والمسلمين، وبدلاً من أن نقف جميعاً كعرب ومسلمين فى مواجهة هذه المخططات الشيطانية لإجهاضها قبل أن تضع مولودها، وإفشالها فى طورها الأول، رُحنا نَبْحث عن أخطائنا، ونستكشف مسئولياتنا فى ما حدث، وأرسلنا رُسُلنا لتصحيح الصورة لدى الغرب التى شوهها الغرب ذاته وكأننا نقدم إقرارا بأننا مخطئون مع أننا لم نخطىء فى شىء.

إنما خطأنا الذى أثق بوقوعه أننا عاجزون عن أن نصدق أننا جميعاً أمام مخططات شيطانية، ومؤامرات جهنمية، تعمل جاهدة على سحق المسلمين، والقضاء على حضارتهم، حتى يتمكن المخططون من اعادة تشكيل التّرْكيبة الثقافية، والعقائدية والجغرافية، والطبوغرافية لا فى منطقة الشرق الأوسط فحسب، بل فى العالم كله، ولكن انطلاقا من قاعدة الشرق ذاته باعتباره محور حياة الكرة الأرضية والعالم، ومهبط الديانات والكتب السماوية، وهو لذلك يحتل بؤرة اهتمامات وحيد القرن، إنها المؤامرات التى لا تجدى معها المسايسة أو المهادنة ولاحتى التحامل بالمجاملة.

ولكن الذى ينفع معها. الاستعداد للمواجهة. إعمالاً للقاعدة المنطقية، والأقوال الأثرية. «الحديد بالحديد يُطرق».

* * *

## (د) العراق فى العيون الوقحة

أوردت بعض المصادر الإعلامية العالمية (الرسمية والمستقلة) فى بعض من دول العالم تقريراً (أوروبيا) اشترك فى صياغته جهابزة المثقفين، والسياسيين والعسكريين الغربيين، وقد جاء فيه:

إن سياسة الأمن القومى الأمريكى التى استقرت عليها الولايات المتحدة منذ سنوات طويلة تعتمد على ضَمَان تفوق أمريكى ساحق على أى قوة أُخرى فى العالم، وعلى توجيه ضربات وقائية ضد أى دولة أو مجموعة دول ترى واشنطن أنها يمكن أن تهدد الآن أو فى المستقبل المصالح القومية الأمريكية الاقتصادية أو الأمنية.

وأضاف التقرير الذى نشر فى النصف الثانى من عام (٢٠٠٢) أن الولايات المتحدة تستهدف من حربها على العراق – بالإضافة إلى سيطرتها الكاملة على احتياطى البترول الضخم – فرض عزلة كاملة على إيران التى ستصبح مطوقة تماماً بالنفوذ الأمريكى إلى أن تذعن وتتعاون مع الولايات المتحدة ومخططاتها للهيمنة على المنطقة.

كما يشير التقرير إلى أن العراق بعد سقوط صدام حسين وخضوعه للولايات المتحدة سيصبح دولة علمانية حديثة متحالفة مع الغرب، ويمكن أن يكون نموذجاً للإزدهار والتقدم فى المنطقة العربية بكاملها ويصبح مركز الثقل فى الشرق الأوسط، كما أن العراق يستطيع إعادة صياغة حضارة المنطقة بأكملها لأنه سيبعدها عن الإسلام السياسى والقومية العربية المعادية للغرب ولإسرائيل.

ولا شك أن العراق فى هذه الحالة خاصة إذا ما تم إخضاع بتروله للتكنولوجيا المتقدمة، سيصبح الدولة المحورية الأولى بالمنطقة، وبالطبع سيكون أكبر محمية أمريكية على امتداد منطقة تشمل أوزبكستان وطاجكستان وأفغانستان، والخليج، وفي هذه الحالة ستجد ايران نفسها مرغَمة على التكيف والتأقلم مع هذا الوضع، إما بالرضوخ للقوة الأمريكية، وإما بالتنسيق معها.

ولعل تأكيد الرئيس الأمريكى على تعهد الولايات المتحدة بإعادة إعمار العراق بعد تدميرها، والحفاظ على وحدتها الإقليمية يؤكد حقيقة رؤيته ضد العراق، فبمثل هذا التعهد يصبح العراق تحت الحماية الأمريكية.

وهذه بعض مفردات التقرير الذى صاغه مجموعة من الخبراء والسياسيين والعسكريين الإسرائيليين.

أما إسرائيل فقدواتتها الفرصة الذهبية مع سرعة وتيرة الأحداث التى تمر بها المنطقة، للعمل على تدمير أعدائها ولضمان تفوقها الإقليمى على العرب. طبقاً لما أورده التقرير الأوروبى سالف الذكر – والذى جاء فيه: أن أمام إسرائيل فرصة كبيرة لإعادة ترتيب الجوار الإسرائيلى، ولتتمكن من تحقيق حلمها بالسيطرة الكاملة على فلسطين التاريخية والضفة والقطاع، خاصة أن لدى الإسرائيليين خطَط موجودة لإرغام الفلسطينيين، وحملهم على التخلى عن أراضيهم وديارهم، وقد ضمنت تلك الخطط ترشيح العراق لتهجير الفلسطينيين إليه بعد أن يصير محمية أمريكية يساهم عمليا وجديا فى تنفيذ الاستراتيجية الأمريكية، وهى خطط غيْر طويلة الأجل، وهى كذلك غير قصيرة، فهى ترتبط باحتواء المقاومة العراقية، وجعل الأمور تحت السيطرة.

لذلك ذهبت إسرائيل مبكراً إلى العراق كما دخلته مبكراً قبل إعلان الحرب عليه لتقييم[1] الأوضاع، ودراسة السبل الكفيلة، والوسائل المتاحة، والتعرف على الطبيعة النفسية والسلوكية للعراقيين، للدراسة الجادة والمستفيضة والمتأنية قبل تهجير الفلسطينيين إلى هناك، بينما يتم تخدير الزعامات العربية، والضحك على الغلابة من الشعوب العربية وتهيئتهم لتقبل أعمال الترانسفير بعد أن يحصلوا على رشوة جديدة يغلفها لهم حكامهم وقياداتهم كتلك التى كانت قبيل احتلال العراق والمسماة «خارطة الطريق».

وكفانا عار أننا سبع وأربعون دولة إسلامية نربوا على المليار ومائتى ألف مسلم

---

(١) انظر وحيد القرن ورياح التغيير/ للكاتب.

نقف مكتوفى الأيدى، وعلى رؤوسنا الطير، مكتفون بالمشاهدة والتحسر ومصمصة الشفاة، وربما كان ذلك خشية المارد الأمريكى اللعين – والله أحق أن نخشاه.

ولم لا، وقد أعلنت إسرائيل رسميا عند منتصف أكتوبر٢٠٠٣م كما ذكرت وكالات الأنباء – أن الولايات المتحدة الأمريكية أعطت لإسرائيل الضوء الأخضر وجواز المرور بوجوب أحقيتها في توجيه ضربات استباقية (وقائية) ضد الدول العربية التى ترى فيها خطراً عليها، وعلى مصالحها، وقد ذكر (شاؤول موفاز) وزير الدفاع الصهيونى أن إسرائيل مستعدة لتوجيه ضربات وقائية لكل من إيران وسوريا ومصر.

ومن أجل إضفاء الشرعية على تفعيل المخطط ضد طهران أُعيدت إلى الأذهان قضية تفجيرات «بوينس آيرس ولندن» من جديد فمارست أمريكا ضغوطا هائلة على الحكومة الأرجنتينية لإعادة فتح الملف من جديد، فروّجت وبشراسة للإدعاء بامتلاك أدلة جديدة تؤكد على تورط النظام الإيرانى فى تلك التفجيرات، كما حاولت الضغط على لندن لأن تسلك ذات المسلك بعد أن طُويت تلك الصحفات منذ عام ١٩٩٤م.

وكانت المفاجأة أن كُلاً من «بوينس آيرس ولندن» أكدتا على عدم تورط إيران، وبادرت انجلترا بتبرئة ساحة الإيرانيين، وقال مسئولوها أنهم لم يعثروا على بَيّنة تدينها. وفى مطلع الأسبوع الثالث من يوليو ٢٠٠٣م وأثناء احتفال إقامة الحرس الثورى الإيرانى، وبثه التليفزيون الرسمى فى ذات الوقت، وقد حضره المرشد العام الأعلى للجمهورية الإسلامية (آية الله على خامنئى) الذى أكد على أن الشعب، وقواته المسلحة أصبحاً مستعدين للدفاع عن أهدافهم فى أى مكان، وعرض التليفزيون صوراً لنحو ألف جندى على الأقل يتوسطهم ثلاثة صواريخ «شهاب: ٣» القادر على ضرب إسرائيل، سارعت إسرائيل إلى استثمار ذلك التصريح استثماراً جيداً، وملأت الدنيا بصراخها الذى أعلنت من خلاله على العالم أن الصاروخ الإيرانى الجديد بمثابة تهديد للمنطقة بأكملها. وعزفت إسرائيل على وتر الخطر الإسلامى من جديد.

وقال (ديفيد سارانجا) المتحدث باسم الخارجية الإسرائيلية، أن صاروخ شهاب القادر على الوصول لإسرائيل بالإضافة لقدرات إيران النووية المحتملة تمثل تهديداً ليس فقط على إسرائيل، ولكن على المنطقة بأسرها وكذلك أوروبا[1] ومع مطلع أكتوبر ٢٠٠٣م عادت الأرجنتين تحت الضغط الأمريكى الشديد، والوعود الإسرائيلية

(١) الأهرام القاهرية ٢١/ ٧/ ٢٠٠٣.

المغربية عادت إلى إثارة الشبهات حول بعض الدبلوماسيين الايرانيين، وألقت السلطات الأرجنتينية القبض عليهم بحجة تورطهم فى التفجيرات «إياها»، فيما يُعد استجابة واضحة للضغوط التى مورست على الحكومة الأرجنتينية لاعادة فتح الملف من جديد.

ألقت هذه المشكلة بظلالها على العلاقات الإيرانية من جانب، والأمريكية والبريطانية الأرجنتيتية من الجانب الآخر.

وكانت من أبرز الانعكاسات السلبية للتطورات المفاجئة ما جاء على لسان وزير الدفاع الإسرائيلى – موفاز – بأن إسرائيل ستنسف أربع قواعد عسكرية إيرانية فى العمق الإيرانى تمثل تهديدا خطيرا لأمن إسرائيل «حسب زعمه».

وقد أكد المراقبون والمهتمُّون أن إسرائيل لم تتحدث بهاتين (الثقة، والقوة) عن توجيه ضربات وقائية إلى «إيران – وسوريا – ومصر» إلا بعد أن حصلت على الموافقة الأمريكية الضرورية جداً فى مثل هذه الأحوال خاصة وأنهما يجمعهما هدف مشترك فى مواجهة عدوهما المشترك «المسلمين، ومع التأكيد على أن هناك تقارير أمريكية تتهم مصر صراحة بأنها دولة ترعى الإرهاب.!!!

أصبحت طهران على مُشارفة وضع جديد، بعد أن عاشت وسط الأحداث التى وقعت على أرض العراق الجار وبعد أن شاهدت نهايته ومآله.

وفى مساء ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٣م أعلن وزير الخارجية الإيرانى استعداد طهران غير المحدود للتعاون مع مفتشى الهيئة الدولية للطاقة الذرية. فيما يعد تحولاً كبيراً فى السياسة الإيرانية الرافضة لمجرد إعلان القبول على توقيع اتفاق إضافى بشأن منشآتها النووية، ويعد هذا بمثابة المدخل الأمريكى لانتزاع اعتراف ايرانى بمسئوليتها عن تفجير (لوكيربى الجديدة) – (لندن، وبوينس آيرس) – هذا غير اللعب بالداخل الإيرانى ذاته عن طريق إثارة طلبة الجامعات والليبراليين الجدد، ودعاة الحرية والاخاء والمساواة (إياها) باستخدام النفير[1] الأكثر والأسرع فى التأثير مع انتشار الفضائيات والانترنت فهل تتغير العقيدة الايرانية وتصبح شريكا قوياً وحليفاً استراتيجيا للولايات المتحدة يعملان سويا بالتنسيق المشترك. أم ترضخ للغة القوة – ويتطور الصراع وستبدى لنا الأيام ما لسنا نعلمه خاصة بعد المفاجأة الكبرى التى فجرها الرئيسى الليبى القذافى فى نهاية ديسمبر ٢٠٠٣م بإعلان تخلى الجماهيرية عن برامجها النووية، وتعاونها غير المحدود مع الهيئة الدولية للطاقة الذرية.

---

(١) وسائل الإعلام.

## (هـ) الحراب نحو الكعبة المُشَرَّفَة

تبدو عملية نقل مركز القيادة الجوية من قاعدة الأمير سلطان بن عبدالعزيز إلى قطر، وإخلاء قاعدة الظهران إلى جانب تأمين إسرائيل على نحو ما ذكرنا سابقا: لتكون إحدى خُطوات التآمر الأمريكى – الإسرائيلى لتفعيل مخططاتهما ضد المملكة العربية السعودية، وهى المخططات التى تأتى فى إطار الاستمرار فى الحملات الصليبية على الشرق والهادفة إلى تنصير المسلمين، وإقامة إسرائيل الكبرى، وتمهيد الطريق للهيمنة الأمريكية.

وقد تزامن الإعلان عن إخلاء تلك المناطق مع وصول وزير الدفاع الأمريكى ( رامسفيلد ) إلى السعودية فى ٢٩ / ٤ / ٢٠٠٣م لتَطْييب خواطر المملكة وطمأنتها من الهواجس التى تجول فى صدور السعوديين بسبب بلوغ ممارسات الضغط ذروتها من جانب [ المحافظين الجدد ] أوْهُم اليمين المتطرف – على الإدارة الأمريكية لفرض عقوبات شاملة على المملكة السعودية وعزلها ومصادرة أموالها أو تجميدها، فى اطار سياسة التصعيد الهادفة إلى إسراع الخُطى فى إعادة رسم وتشكيل الخريطة السياسية والجغرافية، والسكانية للمنطقة وعلى ذلك استمرت جماعات الضغط فى الكونجرس الأمريكى، وفى الإدارة الامريكية اليمينية المتطرفة التى يسبقها ( رامسفيلد ) ذاته فى التصنيف، وفى داخل البيت لأبيض فى الضغط بشدة على الحكومة السعودية التى لم تعلن على شعبها حقيقة الأوضاع الراهنة.

وقد كان الحاصل الأولى بعد سقوط العراق هو الإحساس المتبادل بخفض الحاجة المتبادلة بين المملكة وأمريكا، خاصة مع تزايد حساسية السعوديين تجاه أمريكا إلى أعلى مستوى، كما أن الضيق الأمريكى من السعودية آخذ فى الوضوح إلى درجة التصريح الجهرى بأن السعودية هى « بذرة الشر ».

وهذا التصريح يحمل « دلالة » خاصة تؤكد على أن السعودية هى الخلية الأولى للإرهاب الذى يشهد نَبْتَهُ الأول على أراضيها، وهو قول دقيق وخطير لا يجب أن يمر هكذا – كما مرت ( خارطة الطريق )، خاصة وأن الحديث عن السعودية محمول على سيقان التاريخ ذو الجذور البعيدة فى الأعماق –وهو حديث عن حرقها وتدميرها. من ذلك مثلا ما قاله المستشرق الفرنسى كيمون فى كتابه « باثولوجيا الإسلام »: وأعتقد أن من الواجب إبادة خُمس المسمين، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع محمد وجثته فى متحف اللوفر.

كما صرح أحد رؤساء الصرب فى جمهورية البوسنة والهرسك التى دمرها

الصرب على مرأى العالم ومسامعه الملتزم بالصمت الرهيب والمصاب بالعجز الكامل «إننا متسعدون أن نخسر (٣٠٠) ألف جندى لإبادة المسلمين من سراييفو إلى مكة»[١].

أما رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق ابن جوريون فقد قال (نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات، ولا الديمقراطيات فى المنطقة، نحن نخشى فقط الإسلام هذا المارد الذى نام طويلا وبدأ يتململ من جديد».

وقد تحدث مؤخراً شيمون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق، ورئيس حزب العمل السابق والمتظاهر بمظهر خمامة السلام البيضاء فقال (إنه لا يمكن أن يتحقق السلام فى المنطقة مادام الإسلام شاهرا سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد).

ولا حرج إذا فى نعت المتشددين الفلسطينيين بالإرهاب كما سبق طبقا لرؤية «بيريس»، والسعودية يا سادة هى نبت الإسلام الأول، والأرض الطيبة التى شب عليها وهى القاعدة التى انطلق منها ليملأ رحاب العالم عدلا ونورا، ويقيم أعظم الحضارات البشرية التى عرفها التاريخ الإنسانى كله، وهى الينبوع المتجدد والوعاء الذى لا ينضب من تقديم المساعدات المادية والعينية للشعوب الإسلامية والعربية على السواء فى افغانستان والباكستان، والشيشان، والبوسنة – والصومال – والسودان – وموريتانيا وتتقدمهم فلسطين – كما أنها تقيم من دون كلل أو ملل المراكز الإسلامية فى ربوع العالم ومن أشهرها المركز الإسلامى الألمانى الذى افتتح مؤخرا، والجامعة العالمية الإسلامية فى باكستان والمعروفة باسم (شاه فيصل مسجد).

ولذلك باتت وهى توصم بنعت جديدة قاله الكفرة الفجرة بأنها هى «بذرة الشر» – وهو تعبير فى غير محله ولا أجد ما أقول إلا قراءة ما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

* * *

## رابعاً: إحياء الميت وإماتة الحى

نشأ فى المنطقة العربية وضع استراتيجى جديد، عبر عنه صراحة الشعب العربى كله، عندما صحا على وقع عمليات التدمير والتخريب، وعلى أرض الأديان وهى ترتوى بدماء الشهداء الفلسطينيين على اختلاف أنواعهم وأعمارهم كرد فعل قهرى لانتفاضة الحجارة الثانية (إنتفاضة الأقصى) التى بدأت شرارتها الأولى مع

(١) لماذا يخافون من العملاق ص ٣٧.

دخول إيريل شارون وقطعان الخنازير البشرية إلى حرم المسجد الأقصى الشريف فى ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٠م.

وقد تقدم هذا الوضع وتطور من صحوة إلى صيحة إلى صرخة مُدوّية تمادت أبعادها بما لم نرى مثيلا لها منذ وقوع العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م.

وقد أطاحت هذه الصيحة أو هى [ الصحوة ] بالمعادلة الإسرائيلية التى نادى بها « ايتامار رابينوفيتش » معلقا على فشل الجولة الأولى من المحادثات السورية – الإسرائيلية التى جرت عام ١٩٩٥م فى العاصمة الأمريكية حيث قال ( نصر على أن يكون هناك كثير من التطبيع، وقليل من الانسحاب، كى نتمكن من قطف ثمار الاتفاق ).

وهو قول يعبر بإيجاز وبدقة عن الخط الاستراتيجى الإسرائيلى الثابت، وبلخصه، وهو الهادف إلى رفع عمليات التطبيع ( السياسى، والاقتصادى، والثقافى، والإعلامى ) ... إلخ مع بلدان العالم العربى إلى أقصى مدى ممكن، دون التقيد بحدود جغرافية أو بأساليب وأنماط تُقيّد تطوير التطبيع نظريا وعمليا مع الحكومات العربية، وبغض النظر عن تركيبتها الثقافية والعقائدية، واعتمادا على بعض جماعات المصالح التى اتخذت ساترا لنشاطاتها غير المعلنة، والتى تسمى نفسها بجمعيات السلام مثل جماعة ( السلام الآن ) فى إسرائيل، وهم جماعة من الصهاينة المتشددين للنخاع، ونظرائها فى العواصم العربية والتى تكتظ برجال الأعمال وأصحاب المصالح الذين أطعمونا القطن الطبى فى لحم الدجاج الأبيض – وسقونا هيرمون منع الحمل مع مرقة الدجاج ( البهاريز )، وأصابونا بالفشل الكلوى بالمبيدات الحشرية، وبالسرطانات فى الزيوت المهدرجة وأطعمونا اللفت على شكل خيار الصوب، وقدموا نهاية لنا البطيخ المميز بالقلب الأبيض من قلوبهم وما أظنه غير تسويق وتطوير وتنمية للمصالح الصهيونية على تنوعها، وألوان خططها، وأبعادها.

فإسرائيل تُخّطط لأن تكون الدولة القائدة، والرائدة فى المنطقة اقتصادياً وتكنولوجيا وعسكريا وماليا، ظنا من مُخَطّطى استراتيجياتها أن ذلك يؤهلها لمساومة العالم الأول لإدارة شئون المنطقة من خلال مشروع « الشرق أوسطية » الذى طرحه شيمون بيريس تحت مسمى ( الشرق الأوسط الجديد ) ضمن كتابه الذى أصدره عام ٩٤، بينما تكون إسرائيل والأردن بعد تهيئته، وفلسطين بعد ابتلاع الضفة الغربية وقطاع غزة، أو سوريا إن أُدمجت فى النظام العالمى الجديد. هؤلاء يكوّنون قاعدة

الشرق الأوسط الجديد للإنطلاق نحو اختراق المجال الاقتصادى العربى، ومن ثم يمكن إعادة صياغة القرار السياسى العربى، بحيث يلتقى فى النهاية مع المصالح الإسرائيلية العليا الرامية إلى الهيمنة على صنع القرار العربى وصياغته فى غرفته، لتنفرد هى بالتحدث، وبتمثيل المنطقة كلها أمام العالم.

ولما كانت الحسابات الإسرائيلية محفوفة ومحاطة بسوء الظن من قبل الشعب العربى وهو (سوء ظن قائم على أسس فعلية لها فى التاريخ مواقع وصفحات) كان لابد من تدارك أبعاد هذا المخطط للحيلولة دون تمكين إسرائيل من البدء فى أبجديات هذا المشروع لأنه يحمل بين جنباته مخاطر ماساوية.

أما على مستوى الحكومات فإن بعضاً منها لهم آراء متباينة، وتأتى بعض دول الخليج فى طليعة الدول العربية التى تتسابق إلى اخراج هذه السوق إلى حيّز الوجود وتفعيلها غير أن هؤلاء القادة لن يستطيعوا أن يغيروا طبائع الأشياء التى جُبلت عليها، ومن ثم فإنهم لن يتمكنوا من تغيير نفسيات شعوبهم أو تحويل اهتماماتهم، وإنما أقصى ما يمكنهم فعله أن يقدموا إمكانيات شعوبهم وثرواتهم واقتصادهم كوجبة سائغة على طبق من ذهب إلى فم الذئب الجائع.

بينما هناك بعض الدول العربية لا تقف فى موقف الرفض فحسب بل تناهض هذا المشروع مناهضة جبارة من أهمهم العراق وسوريا واليمن والسعودية – هذا غير دول أخرى صبّت مجهوداتها فى اتجاهين الأول شمالى باتجاه السوق الأوروبية المشتركة، والثانى جنوبى باتجاه دول الاتحاد الإفريقى، وقد أخذت الأخيرة موقف الحياد السلبى، وامتنعت عن الإدلاء بدلوها فى هذا الموضوع الشائك والبعيد الرجاء.

أما الدول التى رفضت الخوض فى الحديث فى هذا الموضوع من حيث المبدأ، فقد تعرضت لسيول من التآمرات والعقوبات والفتن المدمرة.

وقد أفردنا موضوعات شاملة لما كان مع كل من اليمن والسودان وسوريا وليبيا والعراق على صفحات كتابنا وحيد القرن ورياح التغيير، ثم أوردنا فى لقائنا هذا بعضاً من المستجدات فى الحقيبة التآمرية. ونكتفى خشية الاطالة والملل.

وحيث أن إسرائيل تسعى ومنذ وقت مبكر لتشييد بوابة دخول العالم الأول على أرضها، لتمتلك هى وحدها حق التحكم فى مدخل السوق الإقليمية المزمع، وبالتالى إمكانية فتح الأسواق العربية أمام المنتجات الإسرائيلية، الأمر الذى يشجع

بالضرورة على جلب رؤوس الأموال، واستقدام المستثمرين إلى إسرائيل، بغرض الاستفادة من المعطيات فى تحويل إسرائيل كذلك إلى محطة تصدير للمنتجات العالمية إلى دول المنطقة.

ولعلنا نتدارك أن الحديث الإسرائيلى كان عن فتح باب التصدير ( فقط ) للدول العربية، ولم ترد فيه الاشارة إلى إمكانية تصدير المنتجات العربية إلى الخارج، بما يعطى دلالة على أن النيّة تتجه إلى استمرار العرب قابعين فى التخلف، يعانون من إغراق أسواقهم بالمنتجات الأجنبية، وإذا أرادوا الخروج من هذا النفق المظلم فعليهم جميعاً تقديم توكيل رسمى عام وشامل إلى إسرائيل بتفويضها فى دراسة تلك الظاهرة والبحث عن مخرج لها، وعندئذ ستتمكن إسرائيل من الامساك علنا بزمام الأمور لقيادة المنطقة نحو ( روتردام ) الشرق الأوسط الجديد[1].

غير أن المواقف العربية المتباينة أثارت حفيظة الإسرائيليين، فخرج شيمون بيريس محاولا تهدئة الخاطر العربى وبث الطمأنينة فى داخلهم؛ بمحاولة جادة لافهامهم أن إسرائيل لا تخطط للهيمنة على المنطقة العربية من خلال مشروعها السوق الشرق اوسطية فقال: ان حكاية الهيمنة كلام فارغ، وأن السوق الشرق أوسطية هى سوق تنافسية لا أكثر ولا أقل وتساءل. هل يمكن أن تُتَّهم اليابان بالهيمنة إذا راجت منتجاتها – إن التجارة تنافس ومنافسة.

وفى حديث بيريز مغالطة ومغايرة للحقائق عن إصرار وعمد، فالمنتجات اليابانية لا تساندها ترسانة نووية مكدسة على أراضيها أو فى الخارج كما هو الحال فى إسرائيل، ولا قوة عسكرية عظمى، ولا لوبى صهيونى يشكل قوة ضغط هائلة على صانعى القرار السياسى فى أقوى الدول وأعظمها على الإطلاق، وهى التى تُمسك بتلاليب النظام العالمى الجديد وبلا منافس، تلك هى أمريكا التى تقف بكل ما أوتيت من قوة، بترساناتها، وأساطيلها، واعلامها وراء إسرائيل، كما أنها تضغط وبكل قوة وبكامل امكانياتها بالوعد تارة وبالوعيد أخرى على زعامات المنطقة من أجل تَمرير صفقة السلام الإسرائيلى، وبالشروط الإسرائيلية. وليست أمريكا وحدها التى تساند إسرائيل بل الغرب كله يقف خلفها ويساندها.

والواقع المرصود والكائن يشهد بأن إسرائيل تمارس الهيمنة عمليا، كما أنها تتصرف فى المنطقة كإسرائيل عظمى، وكدولة كبرى منذ وقت يسبق الآن على

---

( ١ ) انظر: وحيد القرن ورياح التغيير. للمؤلف.

الرغم من أنها لا زالت كياناً صغيراً حظُّهُ الرفض من كل دول المنطقة التى تحاول هى الإندماج فيها ثم الإمساك بزمام أمورها وقيادتها على نحو ما بيّنا.

وهى مع ذلك متفهمة تماما للواقع العربى على إطلاقه، فذهبت تستحدث الصراعات وتبتكر المؤامرات لتطوير صراعها الذى لم ينتهى بعد مع أصحاب أقدم الحضارات الإنسانية على وجه الأرض، أصحاب التاريخ والجغرافيا والإجتماع بلغة المنطق والفلسفة والحكمة، لصدق إحساسها باستبعاد الطرح البيريزى وصعوبة تحقيقه.

وأخيراً تفتقت أذهان الإسرائيليين عن مشروع جهنمى يقضى بالضرورة إلى إحداث بلبلة وخلخلة لا فى التوازن الاقتصادى والعسكرى فحسب بل فى النظام البيئى والجيولوچى ذاته، ذلك هو المشروع الحلم القديم لمؤسس الصهيونية الأول تيودور هيرتزل (مشروع قناة بين البحرين) التى تربط الأحمر بالمتوسط مروراً بالحدود الأردنيّة المشتركة مع إسرائيل مروراً بغور الأردن الذى تقيم عليه إسرائيل الآن ما يعرف بالجدار العازل (أو الجدار سيء السمعة) متذرعة بدواعى أمنية معلنة، وهو فى الحقيقة يحمل أبعاداً استراتيچية غاية فى الخطورة والآثار، خاصة أنه يرمى إلى تخفيض سقف المطالب العربية وصرف اهتمامات الرأى العام العالمى عن ممارسات الإسرائيليين داخل فلسطين المحتلة، ولتخفيف الضغط عن الإجراءات الأمريكية فى العراق.

وما زال الحلم الإسرائيلى بالتغلغل والسيطرة على حوض البحر الأحمر يحتل مساحة كبيرة من تفكير الإسرائيليين، ومخططاتهم، فهذا الممر المائى المتميز باستراتيچيته الفريدة كان بحيرة عربية خالصة، ومغلقة على أصحابها وحتى منتصف القرن الماضى.

فبعد انتصار العصابات الصهيونية فى حرب ١٩٤٨م على الجيوش العربية، لم يعد البحر الأحمر هو الممر «الملاكى العربى» الذى تتحكم فى مقدمته الشمالية مصر، والجنوبية اليمن، ومن أهم الآثار أو أخطرها بعد سقوط فلسطين، هو نجاح تلك العصابات فى السيطرة على قرية (أم الرشراش – المصرية) التى أصبحت فيما بعد منفذاً إسرائيليا وحيداً، وميناء حيويا لها على البحر الأحمر يعرف الآن باسم (ميناء إيلات) الواقع على خليج العقبة (اللسان الأيمن للبحر الأحمر).

غير أن الأطماع التوسعية الإسرائيلية لم تقنع بأم الرشراش، وحاولت الاحتفاظ بمنطقة طابا المصرية التى دارت بسببها معركة سياسية هائلة اضطرت إسرائيل على إثرها إلى الإنسحاب منها إثر صدور حكم محكمة العدل الدولية التاريخى بأحقية

مِصَر فى طابا التى عادت إلى أحضان الوطن الأم فى ٢٥ / ٤ / ٨٤م حيث رفع الرئيس المصرى [ محمد حسنى مبارك ] العلم المصرى ليرفرف خفاقًا على أرضها وفي سمائها.

فاجتهدت إسرائيل فى البحث عن مدخل آخر لا يثير جدلاً، ولا يسبب مشكلات، فلجأت إلى الترويج لمشروعات مشتركة بينها وبعض الدول العربية والتى تتيح لها المشاركة فى العديد من المشروعات خاصة ما يتعلق بإدارة البحر الأحمر.

وهكذا عاد حلم هيرتزل القديم إلى الظهور من جديد كأحدث مشروع ضمن الجعبة الإسرائيلية الممتلئة بالمخططات.

وقد تم عرض هذا المشروع على قمة الأرض التى انعقدت مؤخرًا فى جنوب إفريقيا، بشأن حفر قناة تربط البحرين «الميت والأحمر» بزعم انقاذ الأول من الإضمحلال، وانتشاله قبل الجفاف، ومن التصرفات المريبة والمفارقات الغريبة أن إسرائيل لم تتولى الطرح بنفسها إنما الذى روج له هو «الأردن»، لا من دون تنسيق مع الدول العربية المطلة على البحر الأحمر أو مشاورة شركائهم ( الفلسطينيين ) فى البحر الميت فحسب، بل من دون علم الجميع فيما يعد تأكيدًا من جانب الأردن على ما ذهبنا إليه سابقًا أن الأردن وإسرائيل، وفلسطين أو سوريا سيشكلون قاعدة تكوين الشرق الأوسط الجديد، وقد بدأها الأردن حقًا.

وعلى الرغم من المعارضة القوية التى قُوبل بها المشروع من جانب الوفود العربية المشاركة فى المؤتمر خاصة مصر وفلسطين وسوريا ولبنان باعتباره خرقًا للحَظْر الذى تفرضه الجامعة العربية على إسرائيل، ولتجاهله حقوق الفلسطينيين، بالإضافة إلى حدوث خلل جوهرى فى المنطقة يتعارض مع الأمن القومى العربى للدول المطلة على البحر الأحمر، إلا أن الأردن أكد تمسُّكه بتنفيذ المشروع بالتعاون مع إسرائيل، وفى الوقت الذى يحدده هو – أى – الأردن.

وبغض النظر عن التبريرات الأردنيّة لتمرير المشروع الذى يشددون على أهميته الاستراتيجية القصوى، فإن الإسرائيليين أعلنوا صراحة فى معارضهم التى أُقيمت على هامش المؤتمر بأنه سيتم إقامة قناتين على خلاف ما أعلن الأردن – إحداهما لتوصيل

خليج العقبة بالبحر الميت، والأخرى لربط الميت بالبحر المتوسط، كما أنه سيتم استخدام المياه المتدفّقة من البحر الأحمر فى تبريد مفاعل ديمونة النووى الإسرائيلى.

وإذا كان الأردن يحاول الترويج لمشروعه المشترك مع إسرائيل من خلال نشر تقارير تشير إلى تراجع مساحة البحر الميت من ١٠٠٠كم٢ إلى ما يقل عن ٦٥٠كم٢[١]، وأن المستقبل ينبئ بخطورة فناء البحر على المدى المتوسط، فإن إسرائيل تتحمل الجانب الأكبر من مسئولية تدهور أوضاع هذا البحر، حيث أقامت (١٨) مشروعًا لتحويل مياه نهر الأردن إلى مشروعاتها الزراعية فى صحراء النقب، كما قامت بتحويل الأودية الجارية التى تتجمع فيها مياه الأمطار وتجرى باتجاه «الميت» إلى المناطق المُحْتلة وخاصة للمستوطنات، وقد وصلت نسبة المياه المحجوزة والمحولة عن البحر الميت إلى حوالى ٩٠٪ من مصادره المائية، كما قامت إسرائيل بحفر ما يزيد عن (١٠٠) بئر لسحب المياه الجوفية من المناطق القريبة التى تغذى أيضًا البحر الميت بالمياه، إضافة إلى إقامة المصانع، ومراكز استخراج الأملاح خاصة (البروميد) بصورة كبيرة من البحر الميت، والتى تؤدى حسب أراء الخبراء إلى زيادة مستوى التبخر.

أما وزير المياه الأردنى الذى استغل قمة «جوهانسبرج» كمِنْبر لعرض مشروع بلاده فقد قال: إن مشروع بلاده يعد فكرة رائدة من جانب الأردن وإسرائيل لاستغلال أكبر تجمع بيئى عالمى حول سبل مواجهة هذه المشكلة، وجذب انتباه العالم إلى هذه القضية البيئية الخطيرة، خاصة أن كلفة إنشاء قناة «بين البحرين» الذى أعلنت عنه الأردن بكافة مراحله لا يمكن للأردن وحده تأمينَها، إضافة إلى أنه مشروع ذو صبغة عالمية وإقليمية يشارك به المجتمع الدولى بالإضافة إلى دول الإقليم.

وبعيدًا عن العبارات الدبلوماسية التى استخدمتها الوفود العربية للتعبير عن رفضها للمشروع الأردنى، فإن القراءة المتعمقة التى أجراها المتخصصون تؤكد على أنه مشروع صهيونى محض تم تمريره للأردنيين الذين تلقوه سواء بحسن نية أو بدونها، وتولوا تسويقه للدول العربية، والترويج له فى المحافل الدولية، والمجتمع الدولى باعتباره مشروعًا أردنيًا خالصًا يهدف إلى تنمية موارده المائية الشحيحة، وما يؤكد على هذا الإتجاه أن المشروع كان مطروحًا على مائدة البحث بين شارون والمسئولين الأمريكيين

---

(١) قناة المعلومات العربية/ محيط على شبكة (الإنترنت).

أثناء إحدى زياراته لواشنطن ٢٠٠٣م، كما أن المباحثات التى أجراها شيمون بيريز ووزيرة التعاون الإقليمى ( تسيبى لفنى ) خلال الزيارة انْصَب فى الأساس على الحصول على الدعم الأمريكى لشق قناة بين البحرين المزمعة ( قبل قمة الأرض بأيام ) .

وتعود الجذور الأولى للمشروع الإسرائيلى إلى عام ١٨٥٠ .م حيث جاء كطرح بريطانى لمشروع منافس لمشروع قَنَاة السويس الذى طرحه الفرنسيون خلال حملتهم على مصر عام ١٧٩٨ .م، حيث قام ضابط مهندس يعمل بالجيش البريطانى بنقل الفكرة إلى مؤسس الحركة الصهيونية ( هيرتزل ) وقامت فكرة المشروع على حفر قناة تربط خليج حيفا على البحر المتوسط مع وادى الأردن والبحر الميت ومنه إلى خليج العقبة على البحر الأحمر ثم إلى المحيط الهندى فالهند[١] .

ظل المشروع حبيس الأدراج نظراً لتكلفته العالية حتى تم الإعلان عن قيام إسرائيل، فشرع مؤسسوها آنذاك يتقدمهم [ ديفيد بن جوريون ] فى إعادة التفكير مرة أخرى بسبب قلقهم على مصير صحراء النقب التى تشكل نصف مساحة فلسطين التاريخية، وتقع على مقربة من مصر ذات الكثافة السكانية العالية .

ولعل هذا القلق – هو ما يفسر قيام إسرائيل بإنشاء مفاعل ديمونة النووى المقدم إليها كمنحة من الحكومة الفرنسية ( كما سبق ) . ليمثل هذا المفاعل ( بعبعا ) لمصر ودول الجوار، كما أن ابن جوريون قاد بنفسه حملة لإعادة توزيع سكان الدولة العبرية عن طريق تكثيف مشاريع الإسكان، والإستيطان فى النقب . وكانت أولها مستوطنة ( سدى بوكرالتى ) التى دفن بها بعد هلاكه، كما عمل على توسيع مدينة بئر السبع وبنى فيها جامعة، إلا أن الجهود الإسرائيلية ظلت محدودة التأثير بسبب شح المياه ومناخ المنطقة القاسى .

وكان مشروع قناة بين البحرين قد تعرض لمحاولات متفاوتة تراوحت بين الظهور والمواراة فى عام ١٩٧٦م على أيدى حكومة حزب العمل بقيادة ( شلومو اكشتاين ) الذى قدم مشروعه، ولم يقدر له أن يخرج إلى النور بسبب وصول كتلة الليكود إلى السلطة عام ١٩٧٧م بقيادة « مناحم بيجين » الذى أُجريت فى عصره دراسة أدق للمشروع، وقد تضمن ثلاثة بدائل، اعتمدت الحكومة إحداها، ولكن المشروع توارى فى الأدراج مع وصول حكومة إسرائيلية جديدة للسلطة عام ١٩٨٤م .

أما شارون الذى جاء إلى السلطة منذ شهور فقد صب جام غضبه فى مذكراته التى صدرت نهاية الثمانينات على قرار الحكومة الإسرائيلية فى ١٩٨٤م تجميد حلمه

( ١ ) المصدر السابق .

الأثير فى حفر قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الميت كمرحلة أولى على أن تمتد فى مرحلتها الثانية حتى خليج العقبة.

غير أنه يعتقد الآن أن الفرصة التى جاءته هذه المرة على طبق من ذهب هى فرصة نادرة خاصة مع جلوسه على مقعد رئيس الحكومة الذى التف حوله الجميع، بعد أن انفصلت الحكومات الحزبية التى حَمَّلَهَا شارون مسئولية تعطيل المشروع، وانفراد الحكومة الإئتلافية التى تتولى السلطة حاليًا فى إسرائيل كما أن شيمون بيريز الذى كان يشاركه الحكم إلى وقت قريب لا زال يشاركه الحلم، إضافة إلى الأوضاع الدولية، والعربية التى تبدو كأنها مستسلمة لأحلام شارون التوسعية التى تهدف بالضرورة إلى خلق وجود أمنى لها فى ٦ من جزر البحر الأحمر، ولا نَجدُ حرجًا أن نقرر فى مقامنا هذا ما أوردته الصحف العالمية من أن إسرائيل بدأت بالفعل فى الترتيب لمثل هذه القواعد تحت زعم حماية مشروع الأنبوب (الإسرائيلى – الأردنى) الذى سينطلق من البحر الأحمر عبر وادى العربة الحدودى وصولاً إلى البحر الميت، كما أنها لن تكتف بإقامة خط الأنابيب المنشود فحسب بل تضمنت دراسة لجدوى إقامة محطات إسرائيلية لتنقية المياه وتحليتها، وكيفية تسويقها لكل من اليمن والسعودية، بالإضافة إلى إقامة محطات أخرى خاصة بالأردن صاحبة الإمتياز الأول لهذا المشروع.

وقد أشارت صحيفة الأسبوع المصرية إلى أن القاهرة رأت لدى دراستها لهذا المشروع أن إسرائيل تريد التوسع فى الممرات الاستراتيجية بالبحر الأحمر، معتبرة أن خطورة سيطرة إسرائيل على هذه الممرات بمثابة البداية للسيطرة على باب المندب، إلا أن الخطورة الحقيقية للتواجد الإسرائيلى تكمن فى الوجود العسكرى الإسرائيلى الذى يتيح لها بالتالى التغلغل فى إفريقيا، إذ أن القوات الإسرائيلية سوف تكون قادرة على التدخل العسكرى السريع فى العديد من بلدان إفريقيا، وهو ما يتعارض كلية مع ثوابت الأمن القومى لكل من مصر والسعودية واليمن، وبخاصة أن الأطماع الإسرائيلية سوف لا تقف عند حد تنتهى إليه، بل ستعبر الحواجز وتسبق الزمن للبدء فعلاً فى التنقيب عن البترول (وشفطه من السعودية ومصر) ثم منافسة مراكب الصيد العربية ولا حرج آنئذ لدى الاسرائيليين من ممارسة أعمال القرصنة البحرية عند الضرورة.

وفى دراسة جادة تضمنتها وثيقة استراتيجية أعدها (نتيحومى ناحال) الذى يعد من أكبر مخططى الاستراتيجية الإسرائيلية جرى التأكيد والتشديد على أن نقطة الإلتقاء (المحورية) بين البحرين الميت والأحمر هى إحدى النقاط الاستراتيجية المهمة

التى يجب أن تظل تحت السيطرة الإسرائيلية، معتبراً ان هذه المنطقة هى خط الدفاع عن كيان إسرائيل، وطالب ناحال بإرغام الأردنيين على توقيع وثيقة إذعان للإسرائيليين للسيطرة على هذه المنطقة.

ولعل هذا ما يفسر تحدى شارون وحكومته فى بناء الجدار العازل الذى يقسم الأراضى الفلسطينية، ويحولها إلى كانتونات، وأشلاء، وبقايا دولة، لأنه ليس فى نية الإسرائيليين إقامة أو قبول ما يسميه العرب دولة فلسطينية ذات سيادة، وما يردده الرئيس الأمريكى (جورج بوش) – الإبن – بشأن رؤيته وقناعته بقيام دولة فلسطينية تعيش جنباً إلى جنب مع إسرائيل – وما هو إلا ذر للرماد فى عيون المساكين، وهم (حيارى مظلومين) أما إسرائيل فإنها ماضية فى سياستها الرامية إلى تهويد القدس، وابتلاع أراضى الفلسطينيين علنا، وحولت حلم الدولة الفلسطينية إلى مشروع مهزلة، وعلى العرب استيعاب الدرس جيداً.

وعلى الرغم من مطالبة الجمعية العامة للأمم المتحدة بالأغلبية الكاسحة فى جلستها المنعقدة مساء الأربعاء ٢٢/١٠/٢٠٠٣م لإسرائيل بالوقف الفورى لبناء الجدار العازل، مع ضرورة إزالة ما تم بناؤه منه، والتأكيد على إحترام القانون الدولى، فإن شارون خرج متبجحاً وأعلن إصدار أوامره بمد الجدار المذكور ليشمل غور الأردن – ليتأكد بذلك تقطيع أوصال القدس برمتها ولتتفتت ما تسمى القدس العربية (الشرقية).

أو تدرى لماذا؟

إنه التنفيذ الأمين لوثيقة ناحال التى ستضمن وصول الجدار إلى البحر الميت ليدمر تماماً ما تبقى من أراضى السلطة، وليقضى على كل آمال الآملين فى إقامة دولة فلسطينية مستقلة، كما أنه سيضمن الوجود العلنى للقوات الإسرائيلية وتحت غطاء من الشرعية عند النقطة المحورية التى سيلتقى عندها البحران الأحمر والميت، وهى فى قلب غور الأردن فى عمق ما يسمى بأراضى السلطة الفلسطينية (الحلم).

ولتبدأ إسرائيل فى شق المرحلة الأولى للقناة الواصلة بين البحرين المتوسط والميت، والتى ستمتد بجوار الجدار العازل وبطوله، ولتتمكن من الإستيلاء على أراضى السُّلطة فى مراحل لاحقة ومنتظمة طبقًا لجدول زمنى خاص، بقصد إقامة المشروعات الخاصة بإدارة القناة: والمشروعات التجارية والصناعية والسياحية ... إلخ والأهم هو إقامة النقاط الأمنية، وأبراج المراقبة والثكنات العسكرية – أى التهام الضفة الغربية كاملة – (والبقاء لله).

وعلى الأردن أن يوقع وثيقة للإسرائيليين يتنازل فيها عن سيادته على المنطقة الحدودية كاملة مع إسرائيل والتى تبدأ من (سدوم) على البحر الميت، وتنتهى عند العقبة وإيلات على البحر الأحمر – طالما كان الأردن لا يستطيع الصبر حتى التوصل إلى تسوية شاملة للصراع، لأنه انتظار سيطول فى انتظار سلام لن يأتى، وإن جاء فإنه مهادنة للإنطلاق والتطوير نحو رحاب أوسع وآفاق أكبر ودائرة هى الأخطر فى الصراع.

ومن المثير للدهشة أن يهرول العرب نحو إقامة مشروعات إقتصادية مع الكيان الصهيونى، أما الأكثر فى دهشته أن يصدر عن الأردن تأكيد يقطع بانها لا تستطيع الصبر حتى تتم التسوية النهائية مع إسرائيل، والأشد غرابة، والأكثر مدعاة للالم والحسرة إنها التزمت الصمت التام طوال أكثر من ثلاثين عامًا سرقت خلالها إسرائيل الجانب الأكبر من المياه المغذية للبحر «المشكلة».

وإذا عدنا للبحث عن أسباب الفشل العربى الذى يسبب الأوجاع المزمنة، لوجدنا أن دول الخليج العربى كانت ولا تزال يمكنها دعم المشاريع المائية فى الدول العربية خاصة فى السودان، وتنمية القائم منها ولو بقروض استثمارية، أو بأحد أوجه تقديم التمويل المعلومة والمعهودة، وهو مشروع يضمن لتلك الدول الحصول على احتياجاتها المائية بطريقة أو بأخرى.

ثم وَقَعَت الأردن ذاتها فى خطأ مطابق بإقحام نفسها فى متاهات ودروب التعاون مع إسرائيل التى سرقت ماءها، فى وقت تقاعس فيه الأردنيُّون عن إقامة سد الوحدة على نهر اليرموك بالتعاون مع سوريا، وهو المشروع الذى كان سيحرم إسرائيل من أحد أهم مصادرها المائية، بينما كان سيساهم فى معالجة مشكلة شُحّ المياه وندرتها فى الأردن بقسط كبير، غير أنه المد والجزر فى العلاقات العربية البينية الذى لا يقدم ولكنه كثيرًا ما يؤخر.

بينما إسرائيل تستمر فى مشاريعها الإستعمارية التوسعية وأفكارها الجهنمية لإحياء الميت وإماتة الحى بما فيه تحويل طرق الملاحة البحرية التجارية العالمية إلى القناة الجديدة كبديل صهيونى رخيص وآمن عن «قناة السويس المصرية» الأكثر عرضة للتوترات وأعمال الغلق.

أما إخواننا فقد ركنوا على ما يبدو إلى التسليم بالقدر والمقدور، و«المكتوب على الجبين» ويبدو أن الأردن سيكون هو محور الارتكاز فى اختراق النظام الإقتصادى العربى، لأن الأمور تبدو وكأنها تؤكد على أن الإنطلاقة الأولى إلى تحقيق حلم بيريز ستكون من العاصمة الأردنية عمّان.

فَمَا أن أعلن بوش انتهاء ما يُسمى بالحرب الرئيسية على العراق، والذى بموجبه توقفت طلعات الطائرة العملاقة «بى ٥٢»، وانطلاقات صواريخ «كروز وتوماهوك» العابرة وتساقُط آلاف الأطنان من القنابل والصواريخ على شعب العراق، حتى برز على السطح من جديد الصراع الإقتصادى والتجارى مرة أخرى بين صاحبة أكبر وأقوى إقتصاديات العالم على إطلاقه (أمريكا)، وبين ثانى أكبر تكتل اقتصادى (الإتحاد الأوروبى)، وبدأ بذلك التواصل بين الحروب التجارية من أجل السيطرة على الأسواق (كل الأسواق) باستخدام الوسائل المشروعة، وغير المشروعة مثل الإحتلال العسكرى السافر، أو الإعلان عن إنشاء ما يسمى (المناطق الحرة).

دليلنا على ذلك: تلك الأطروحة التى طرحها الرئيس الأمريكى (بوش الثانى) عندما أعلن عن إقامة منطقة للتجارة الحرة كمكافأة للأصدقاء العرب – أى – دمج الصالحين من العرب فى ملكوت التجارة الأمريكية، وهم الأصدقاء الدائمين لأمريكا الذين وقفوا موقفًا مبدئيًا وصريحًا ومخلصًا مع أمريكا فى سحق العراق مثل (الكويت، البحرين، الأردن)؛ كما أنه يرمى به من جهة أخرى إلى تشجيع الدول المترددة كى تصحح رؤيتها وتعالج مواقفها المترددة، وتقف بثبات وبإخلاص، ومن أهمها (مصر والسعودية وتركيا).

وقد تمكن بوش من الدخول إلى عقول وأفئدة الأنظمة والشعوب العربية بتعبير منطقى وواقعى غير أنه يحمل حبثًا وتورية ومكرًا؛ قد يجعل البُلَهاء يعطون بوش الحق فيما ذهب إليه، وما قصد التأثير به – وقد – يجعل كذلك الأكثر بَلاهَةً يُقدمون على الهرولة إلى تقبيل عتبات البيت الأبيض مهللين ومصفقين ومباركين دعوة الصديق الملاك بوش الذى قال [إننا نحاول إنتشال الإقتصاديات المحتضرة لهذه الدول لتحقيق مزيد من الإستقرار، حيث أن الناتج القومى لكل الدول العربية بما فى ذلك الدول البترولية حوالى (٢٨٠ مليون نسمة) هو أقل من الناتج القومى لأسبانيا (٤٨ مليون نسمة)].

ولعلنا جميعًا نتدارك حقيقة تراجع الإقتصاد العربى والإنتاج العربى والتصنيع العربى إلى هذا المستوى المتدنى، ولعلنا كذلك لا ننسى الدور الأوروبى – الأمريكى الهائل فى أبعاد تلك المشكلة اعتبارًا من نشأتها كما عرضنا لها – مرورًا بتطوراتها، ووصولاً إلى طرح الصديق الوفى «لباكى على المصالح العربية العليا (بوش).

وفى ظل هذا المناخ السياسى المتأثر بالظروف القائمة والمستجدات الراهنة التى تعيشها المنطقة، بما فيها من محاولات لإسكات الأصوات الرافضة لترسيخ الوجود

الأمريكى فى المنطقة، وأخرى لتكميم الأفواه المطالبة برجيل الغزاة المستعمرين من المنطقة لتمكين الشعوب من ممارسة حقها فى تقرير مصيرها بإرادتها الحرة، وغيرها من التى تشهد سكب التصريحات الباردة على نار الصدور المتأججة فى الشعب العربى كله.

انعقد فى العاصمة الأردنية عمّان مؤتمراً جديداً، يشابه إلى حد كبير قمّة الأرض التى انعقدت فى جوهانسبرج، من حيث الترويج الإسرائيلى لمشروعاتها المشتركة مع المنشقين العرب.

أما أمريكا فمن جانبها جاءت إلى هذا المؤتمر للإلتقاء مع المُنْشقين العرب على موقف البعض من العرب – أو بعبارة أخرى – للتحاور مع الخارجين على الطاعة الأمريكية، وكذلك لتحييد المحيرّين العرب الذين يظهرون وهم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وذلك وسط أكبر حشد دولى ينعقد فى المنطقة عقب الإعلان عن انتهاء العمليات العسكرية المباشرة فى العراق لذر الرماد فى العيون، ولطمأنة خواطر الأصدقاء، والتغرير بالمترددين، وإغراء الفقراء والمعوذين.

وكان من الطبيعى أن يحضر «باول» وزير الخارجية الأمريكى ممثلاً لبلاده فى مؤتمر «البحر الميت» المنعقد فى الأردن خلال الأسبوع الثالث من يونيو ٢٠٠٣م تحت شعار «المصالحة ورؤى المستقبل».

وقد تكشفت منذ البداية أوراق هذا المؤتمر «السراب» بمجرد أن حضر «بول بريمر» الحاكم الأمريكى للعراق، ليكون ثانى أمريكى يتحدث فى المؤتمر بعد باول باسم بلاده.

## وانكشف المستور

واتضح أن المؤتمر فى حقيقته ليس إلا محاولة جديدة لإحياء المشاريع الصهيونية الشهيرة وأهمها (الشرق أوسطية) المشروع البيريزى الشهير.

وإذا كان (جورج بوش الأول) الرئيس الأمريكى إبان حرب الخليج الثانية (تحرير الكويت) قد حاول إبرام مصالحة سياسية واقتصادية من خلال الدعوة التى أطلقها فى أعقاب مؤتمر مدريد، وإتفاقيات أوسلو، وكُتبَ على محاولته الفشل.

فإن الرئيس الأمريكى «جورج بوش الثانى» قائد عملية الحرب على العراق واحتلاله، جاء ليكرّر ذات السيناريو «الخايب» ويتحدث عن الشرق الأوسط الجديد، ليتطابق تماماً مع النموذج السابق الذى حاول أبوه «بوش الأب» بواسطته تخدير

(الناس الغلابة)، ويبدو أن شهية الولايات المتحدة قد تفتحت من جديد، وسال لعابها بغزارة لإحياء مشروع الشرق أوسطية، ودمج إسرائيل فى المنطقة[1].

وقد قدم الوفد الأمريكى كثيراً من الوعود، وتحدث فى كثير من الموضوعات مثل إعادة إعمار العراق، وإعادة إعمار فلسطين، وتنمية المنطقة كلها فى الوقت ذاته.

وجاء مؤتمر البحر الميت كأول تطبيق عملى فى أول حلقة تليفزيونية فى مسلسل «السلام الاقتصادى» على الطريقة الأمريكية الذى تم الترويج له منذ عهد بوش الأول والذى طوره بوش الثانى فيما أعلن عن رغبته فى ترجمة أفكاره، وعرض تصوره بشأن إقامة منطقة للتجارة الحرة مع دول الشرق الأوسط لتحقيق السلام والوئام والإستقرار فى المنطقة المضطربة.

وما هذه فى الحقيقة غير بالونة من بالونات ملونة تخطف الأبصار بألوانها وخفتها التى لا وزن لها، وكذلك لتطابقها التام مع نَمَاذج «مدريد وأوسلو» من حيث الهدف والنتيجة والوقت الذى أعلنت فيه.

أما الهدف الحقيقى من وراء هذا الإجتماع فإنه يرمى إلى توسيع النفوذ ومد الهيمنة، وتأكيد المصالح الأمريكية فى المنطقة، وإحكام السيطرة عليها – للحسم المبكر لأى صراع قد ينشأ مع قوى اقتصادية أخرى قد تفكر فى مزاحمة أو منافسة الولايات المتحدة فى الحاضر أو المستقبل مثل (الإتحاد الأوروبى، الصين، روسيا) خاصة مع الإعلان الأوروبى بشأن قيام الشراكة الأورومتوسطية التى تضم فى عضويتها دول الإتحاد الأوروبى بالإضافة إلى الدول العربية الواقعة جنوب المتوسط، وإنشاء منطقة للتجارة الحرة فى هذه المنطقة التى تعتبرها أوروبا فناء خلفيًا لأمنها وسلامتها – وهو المشروع الذى يُعرف «ببيان لشبونة».

وثمة بعد آخر يرمى إليه الساسة والمخطّطون الأمريكيون من الفكرة المطروحة، وهو إبعاد أوروبا ونهائيًا عن الملعب الإقتصادى فى الشرق الأوسط، بعد تحجيم دورها السياسى ابتداء من أزمة العراق، وحتى الآن.

وقد قرأ الأوروبيون الواقع، وقاموا بدراسته، وعلق مفوض الإتحاد الأوروبى لشئون التنمية (بول نيلسون) على المشروع الأمريكى بقوله: «إن الولايات المتّحدة التى تعمل على إحكام قبضتها على بترول العراق، والسعى للحصول على عضوية منظمة الأوبك، بدأت توسع من مشاريعها لإحكام السيطرة على المنطقة كلها».

إن الصراع الدائر الآن فى الشرق الأوسط وحوله هو صراع محتدم بين قوى خارجية مختلفة تتباين رؤاها، وتُعبِّرُ مواقفُها بصدق عن مصالحها، فى حين أن الجانب المختفى فى هذا الصراع هو الجانب العربى ذاته الذى تدور على أرضه الدوائر، وتُنصب لشعوبه الشباك، وقد سلّم العرب أمورهم مشيئة غيرهم ولم يتعلموا بعد كيف يحسيموا أمورهم حتى يتمكنوا من اتخاذ موقف مشترك يحقق مصالح شعوبهم، ويلبى مطالبهم، وينأى بهم عن الوقوع أسرى المؤامرات الخارجية، لعلنا نحن العرب نستطيع إدراك الحقيقة الواحدة الثابتة أمام أعيننا فى الصراعات الدائرة من حولنا وعلى أرضنا، وهى أن الإتفاق أو الإختلاف التصادمى الواقع بين تلك القوى الإستعمارية الصليبية الحديثة، إنما هو كائن إما بسبب الإتفاق أو الإختلاف الأكيد على المصالح، أما هذه الإختلافات الظاهرة على السطح أو ما سبقتها فإنها خلافات ليست بسبب القيم والمبادئ، بل على المصالح الاستراتيجية ( وشفط ) إمكانيات الأمة العربية والإسلامية.

ودليلنا عليه: أن السيطرة الأمريكية على العراق ( بترولاً، وإعماراً ، وإدارة ) وعلى مشروعات التسوية، والإنفراد بها، وعلى المناطق الحرة المزمع إنشاؤها يحرم فرنسا وألمانيا وروسيا من إتفاقيات ومشاريع عملاقة تقدر استثماراتها بمئات المليارات من الدولارات، ولعل هذا يُصيب فينا يقينا وقناعة بحقيقة الأسباب التى عارَضَت لأجلها فرنسا، وألمانيا، وروسيا، والصين فكرة الحرب على العراق منذ بدايتها، وهو ما يفسر كذلك امتناع هذه الدول عن إرسال قوات لها إلى العراق حتى تتجرع الولايات المتحدة وبريطانيا كأس الذل دون غيرهم على أيدى المقاومة العراقية التى ستزداد حدتها مع محاولات ترسيخ الوجود الأمريكى هناك، مثلما انفردا بالكعكة البترولية.

وهو ما يفسر كذلك امتناع الدول الأربع عن تقديم أى منح أو مساعدات للمشاركة فى عملية إعادة إعمار العراق الذى دمرته أمريكا بتصرف ثنائى مع بريطانيا وبقرار أحادى أمريكى – وجاء إعلان الدول الأربع المذكورة واضحاً ومباشراً فى مؤتمر الدول المانحة الذى انعقد نهاية الأسبوع الثالث من أكتوبر ٢٠٠٣م وكأنهم يقولون لبوش ( يداك أوْكَتَا وفوك نفخ ).

إنهم يتفقون أو يختلفون علينا وضدنا، ونحن كأصحاب الكهف فى عميق ثبات، ولا يُوقظنا غير أصوات نعالنا وهى تهرول إليهم، ولا يشجينا غير حنين قلوبنا وهى تهفو إليهم.

فَلْنَنْتبه، ولنَتَنَبَّه على الحقائق الماثلة أمام أعيننا والتى من أهمها – القاعدة التجارية المتدنية فى المحيط العربى البَيْنى.

إن تجارة الدول العربية على مختلف أنظمتها ومسمياتها وعقائدها ( سلفية أو علمانية ) – وعلى تنوع اقتصادها وقدرته وقوته – ( بترولية كانت أو زراعية – تسيير فى اتجاه واحد لا تحيد، ومن أراد أن يتتبع حركة هذا الإتجاه سيصيب يقيناً أن العرب يعانون من ( خيبة تُكَال بالوِيبة ) بعد أن يتحقق من الآتى :

* نسبة العلاقات العربية « الأمريكية » تمثل ما بين ٣٥ : ٤٠٪ من حجم التجارة العربية.

* نسبية العلاقات العربية « الشرق أسيوية » تمثل ما بين ١٠ : ١٥٪.

أما التجارة العربية البينية فهى تتراوح ما بين ٤ : ٧٪[١]

ولا تعليق.

غير أننا مع هذا نلهث وراء كل دعوة، ونُبارك كل عرض يأتى إلينا من قِبل الخواجات، بعد إدماننا إرتداء الملابس المستوردة، وهجرنا للصناعات الوطنية، وبحثنا عن المستورد حتى فى الغناء.

أيها السادة : إنهم يعملون لتهيئة الجسد العربى لدمج إسرائيل فيه بعملية جراحية، أو بوصفة أوروبية مستوردة، لتبث فيه الحيوية، وتعيد النشاط لاقتصادياته المتدهورة أو المنهارة، أو المتعثرة أو التى تحاول النهوض بعد أن أثقلتها الديون، وطحنتها الكوارث، التى هى على رأس قائمة المؤامرات المستوردة.

وإن رفعنا الراية البيضاء، وسلمنا نواصى الأمور للأعداء، فلسوف نُقهَر آنئذ على الدخول فى تحالفات اقتصادية تحت أى مسمى طوعًا أو كرهًا، تحت قيادة، أو إدارة مستوردة، طالما ظل العجز العربى العام، وطالما باتت الجامعة العربية منذ منتصف الأربعينات، وحتى الآن عاجزة تمامًا عن إقامة نظام اقتصادى عربى يضمن وجود كيان تجارى عربى حُر، كما أنها تبدو غير قادرة على ذلك فى المستقبل فى ظل المعطيات القائمة.

لقد عجزنا عن كثير، وفشلنا فى الأكثر وضاع منا الكثير، وتحاربنا وتناطحنا وركبنا آخر عربات القطار ( القشاش ) بعد أن كنا للعالم سادة.

وهكذا يدور الصراع ويتطور الحوار الذى يميت الحى، ويحيى الميت.

وأمجاد يا عرب.

* * *

---

( ١ ) من مقال للدكتور فتحى عبدالفتاح – الجمهورية الأسبوعى ٢٦/٦/٢٠٠٣.

## خامساً: السعي نحو النهاية

قلنا سابقًا أنه ما أن رحل الإتحاد السوفيتى عن المسرح العالمى، وتأكد غيابه عن الساحة السياسية كطرف ثان معادل فى موازين القوى الدولية، حتى انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالظهوز، وتمكنت من الإمساك بزمام العالم، ومن الجلوس على مقعد إدارته لتصبح وبلا منافس رئيس مجلس إدارة العالم.

وقد حاولت الولايات المتحدة منذ وقت مبكر يسبق انهيار القطب الآخر، أن تصل إلى حيث انتهت الإمبراطوريات الإستعمارية السابقة فى أمريكا الجنوبية ثم أسيا فإفريقيا بتروّ وبتريث، وبعيداً عن الإنفعالية والتخبط على عكس ما فعلت فى جارتها أمريكا الجنوبية، فذهبت تنشر أفكارها، وتعمم مبادئها، وتجتهد فى استقطاب الأصدقاء، وتجنيد العملاء، ولم تتردد فى الإعتماد على الخونة حتى انطوت تحت لواءها العديد من الأنظمة إما رهبة وفزعًا، وإما رغبة وطمعًا.

ولقد ذكرنا فى كتابنا (وحيد القرن ورياح التغيير) التاريخ المرير الطويل للتدخلات الأمريكية العسكرية فى الخارج منذ تأسيسها وحتى احتلال العراق، وفيه التأكيد على أنها دولة استعمارية من نوع فريد وطراز خاص وبالأدلة الدامغة.

وقد ذكرنا فيما تقدم كثيراً عن التوسع الأمريكى وخططه ضمن الجزئين السابقين على هذا الجزء الثالث، والمتمّمَين له - حيث قدمنا (المؤامرة الكبرى)، وكذلك (وحيد القرن ورياح التغيير)، وفى هذا المقام صراع الحضارات، لا يمكن بحال إغفال الولايات المتحدة عن الذكر، أو ذكرها بأقل من حجمها قدر المستطاع خاصة أنها تمسك بلجام العالم فى وقت يعيش فيه عالم هو بحق (وحيد القرن).

ولعلك تلاحظ معى أن الربط بين إسرائيل وأمريكا تصريحًا أو تلميحًا هو حقيقة أكيدة بين السطورة التى بين أيدينا - ذلك لأن الحديث عن إسرائيل مثلاً يعطى دلالة مباشرة عن موكلها، وإذا ذكرنا أمريكا وقعت الدلالة على وكيلها.

ولما كانت الدولتان تعملان فى اتجاه واحد، ويركبان موجة واحدة، تندفع بهما نحو الهيمنة والسطو على مقدرات الشعوب، وطمس حضارتها الزاخرة، والإستيلاء على اقتصادياتها، ومقومات إنتاجها، وموادها الخام - أى - فى الجملة (نهب الثروات) كل الثروات، يسبقها فى النهم البترول، ثم اليورانيوم والذهب والماس ومصادر المياه... إلخ حتى لا يتربح العالم أبداً - وهما يعملان كذلك تساندُهُما أوروبا التى التقت معهما فى معاداة الإسلام لا أكثر - لأجل القضاء على كل القوى التى يمكن أن تقف حائط صَد أمام الهجمات الإستعمارية الحديثة الشرسة على العالم.

وإذا كانت إسرائيل قد زحفت مؤخراً إلى المياه الدافئة فى الخليج العربى، فى وقت تسابق فيه بعض الأمراء العرب هناك على دفء علاقاتهم مع إسرائيل وتطويرها فى معزل عن الإجماع العربى، فإن الولايات المتحدة نظرت مسبقاً إلى تلك المنطقة، بالإضافة إلى أرض الحجاز منذ أن تم الكشف عن الثروة البترولية فى تلك المناطق، واستطاعت مبكراً أن تقيم علاقات فوق الطبيعية مع الملوك السعوديين الجدد الذين جاءت بهم بريطانيا إلى السلطة للقضاء على أحلام الشريف حسين، وهى العلاقات الأفضل من المتميزة، التى بفضلها استحوذت الشركات الأمريكية واليهودية التى دخلت إلى السعودية تحت مسميات شركات بترولية عالمية، ولم تلبث هذه الشركات أن احتكرت عقود التنقيب عن البترول لمدد طويلة، وعليه فإن الأمريكيين بعد أن تمكنوا من تملك عصب الإقتصاد السعودى اشتغلوا بترسيم السياسة الخارجية السعودية، وتحديد أهدافها منذ فجر علاقاتهم بالمملكة، وإلى حين.

انتشر السرطان الأمريكى الذى يحوى فى عباءته الأطماع الصهيونية والصليبية، حتى تمكنت الولايات المتحدة من إقامة اثنتى عشرة قاعدة عسكرية دائمة فى المملكة وفى بلدان الخليج العربى الذى عَبَرتْ إليه بسرعة رهيبة[1]، بواسطة اللين والمسايسة، وكذلك بإستعمال (الكأس، والتفاح) وسهرات الليالى الملاح التى ليس لها صباح.

وظلت الحركة الإستعمارية الجديدة تعمل فى هدوء تام فى المنطقة العربية، وفى آسيا، وإفريقيا، بل وفى شرق أوروبا - من دون تدخل علنى مباشر، إنما كان سبيلها، إثارة الفتن الطائفية، وخلق النزاعات الحدودية، وتفعيل مشكلات الأقليات، وتأجيج نار القوميات، وإفساد الحياة العامة، وهى تقف بعيدة تمد بالسلاح وتمول بمليارات الدولارات، وتشجع على الحروب الإنتحارية البينية، وترفع عصا التهديد ملوحة بالعقوبات فى وجه من يعترض ومن يمتنع، وتتهم الأبرياء برعاية الإرهاب، وتلصق تهمة الإرهاب بالمسلمين - وتصنع العملاء على أعينها - وذلك من غير أثر يشير إليها أو منتجاً يدل عليها.

والجدير بالذكر: أن المنطقة العربية على وجه التحديد وعبر قرون طويلة استأثرت بالنصيب الأكبر والحظ الأوفر من الأطماع الأجنبية التى جاءت إليها لإقامة إمبراطوريات لها على أرضها الطيبة، وهى محاولات نجحت بعض الوقت فى إصابة بعض من أهدافها، غير أنها باءت جميعها بالفشل، ورحلت ذليلة إلى أوطانها تجر أذيال الخيبة والعار.

---

القادم / أغوار العالم الإسلامى.

أما الولايات المتحدة الأمريكية، قد جاءت إلى الشرق كآخر المستعمرين فى الوقت المعاصر رافعة شعارها «إياه» (الحرية – الإخاء – المساواة) الذى روج له الماسونيون العرب، وشكلوا له أندية ثقافية واجتماعية ورياضية، ونوادى رياضية لإستقطاب المغفلين من أبناء الشعوب الذين ابتلعوا الطعم فوقعوا فى شراك الحرية المزعومة (الفوضوية)، والإخاء المزعوم (التطبيع) والمساواة التى ألقت بالفتيان والفتيات فى صالات الديسكو ومقاهى الكيف (والدماغ).

ومع انتشار حركة التنوير التى قادها المثقفون الواعون المدركون لحقيقة وأبعاد المؤامرة، وما أثمرت عنه هذه الحركة الهائلة من نشر للوعى السياسى وترسيخه فى عقول الشباب، ومفاهيمهم، وقد أضْحَت المصالح الأمريكية كاملة على شفا التهديد العلنى بضربها هنا وهناك، خاصة مع تنامى التيارات الرافضة بل والمعادية للوجود الأمريكى فى المنطقة.

وفى ظل هذه المستجدات، وجدت الولايات المتحدة نفسها أمام ضرورة تقضى بتطوير أدائها وتحديثه من أجل التكيُّف مع الأجواء الساخنة التى فرضتها حركة التنوير العربية والتشقيف الإسلامية، لأجل تطويع المعطيات وتليينها إنقاذاً للمخططات من الفشل والمجهودات من الضياع.

فجاءت أحداث ١١ سبتمبر لتزيح الستار عن الوجه الحقيقى للمخططات الإستعمارية التى يسير على درب تنفيذها الأمريكيون، والإسرائيليون فى خطوط متوازية فى اتجاه الشرق تخصيصاً لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية مُعَّينة، تحت دعاوى عقائدية بالية، فهؤلاء الذين سحقوا العراق، تعددت تبريراتهم، وتنوعت أقاويلهم التى ابتدأوها بدعوى القضاء على أسلحة الدمار الشامل العراقية، ثم إقصاء صدام حسين عن الحكم، وأتبعوا ذلك قولهم القضاء على النظام العراقى، ثم كانت آخرها (حرية العراق) – أى – بالمفهوم الأمريكى – القضاء على النظام المناوئ للمصالح الأمريكية، ونشر ثقافة الديمقراطية الأمريكية بقوة الصواريخ والقنابل، وتحرير العراقيين من الأفكار السلفية، وتأهيلهم للتعامل مع الفوضوية والإباحية والحرية الجنسية والعقائدية على الطريقة الأمريكية حتى يسهل دمج الإسرائيليين فى المجتمع العراقى الحر الجديد.

وما أن تأكد سقوط بغداد، وأعلن «بوش الثانى» إنتهاء العمليات العسكرية الرئيسية فى العراق، حتى طار رئيس الوزراء الإسرائيلى (شارون) إلى واشنطن للقاء الرئيس الأمريكى «المتدين» بوش الثانى – للتباحث حول نصيب إسرائيل فى التفاحة العربية التى سقطت ضمن المخطط السابق، والذى اتفق عليه الطرفان فى وقت سابق

من العام الحالى والخاص بإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، وإقامة إسرائيل الكبرى، لتكون هى قاعدة الشرق الأوسط الكبير التى تقاتل لأجلها الولايات المتحدة الأمريكية.

تركزت مطالب شارون حول الحصول على حصة مناسبة للشركات الإسرائيلية، والشركات العالمية ذات الرأس مال اليهودى خصوصاً شركات الإتصالات والتشييد، ولو كان عن طريق العمل من لباطن مع الشركات الأمريكية التى حصلت وتحصل على عقود الإعمار فى العراق، وقد وضعت المطالب الشارونية موضع التنفيذ فور عودته إلى بطن أمه إسرائيل.

ومن جهة أخرى فقد نقلت وكالات الأنباء والفضائيات العربية والعالمية نَبأ وصول بعض الوفود الإسرائيلية التى تدفقت علناً على المنطقة الكردية فى شمال العراق للتباحث مع الأكراد حول موضوعات متنوعة يأتى فى طليعتها الأكثر أهمية والأشد حيوية وهو محاولة إحياء خط أنابيب النفط الذى كان ينقل البترول العراقى إلى ميناء حيفا الفلسطينى (إسرائيل) مروراً بالأراضى الأردنية حتى أعلنت العصابات الصهيونيّة قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م ولدراسة بدائل هذا الخط لضمان وصول البترول العراقى إلى إسرائيل حتى يتم الإنتهاء من تنفيذ هذا المشروع، وكذلك لضَمَان وصول البترول إلى إسرائيل حال تعطل ذلك الخط بعد تنفيذه لسبب أو لآخر.

وقد أحيطت هذه المباحثات بسرية تامة، وفرض على نتائجها تعتيم إعلامى شديد، ولم تتكشف بعد إحداها.

* * *

## ( أ ) الملف الجديد فى الصراع (تهويد العراق)

قلنا فى كتابنا (وحيد القرن ورياح التغيير) أن إسرائيل قد نجحت فى التسلل إلى الداخل العراقى فى وقت مبكر على العمليات العسكرية وكما نجحت فى ذلك فإننا نشير هنا إلى نَجاحها فى إعادة بعض اليهود العراقيين المهاجرين إلى إسرائيل إلى العراق مرة ثانية بعد حرب الخليج الثانية، وقد تمكنت الآلة الإعلامية الصهيونية من تصويرهم على حال بائس وبملابس رثَّة فى أكثر من مكان فى العاصمة بغداد وعلى غير صورة بغرض المتاجرة الإعلامية للتنديد والتشهير بأحوال اليهود فى العراق، ولإعطاء انطباع عالمى بواسطة إعلامهم السرطانى بأنهم كانوا يعيشون فى ظروف سيئة وحال أسوأ، وحياة لم ينعموا بها، وعندما أعاد الإسرائيليون هؤلاء النفر من اليهود إلى إسرائيل مرة أخرى تم تصويرهم بملابسهم اليهودية الجديدة عندما أُعيدوا مرة أخرى إلى الأراضى المقدسة التى كتب الله لهم (أرض المعاد) بعد أن خرجوا من العراق كما دخلوا إليه سراً.

علمًا بأن اليهود العراقيين كانوا يتمتعون بحماية خاصة من صدام حسين قبل الإطاحة به.

وقد اتخذت إسرائيل من يهود العراق ذريعة جديدة للتدخل من جديد فى شئون العراق والضغط عليه، لتحقيق أقصى الإستفادات الممكنة، والوصول إلى أقاصى الغايات، حيث قدّمت إسرائيل قائمة طويلة إلى حليفيها الإستراتيجيين (أمريكا – بريطانيا) تضم فى سطورها كثيراً من ممتلكات اليهود العراقيين الذين غادروا العراق فى الفترة الأخيرة (بعد حرب الخليج الثانية) عام ١٩٩٢م للعمل على استردادها، والتى تقدر قيمتها بنحو «مليار دولار أمريكى» وقد طالب الإسرائيليون حليفيهما بتجميد الأرصدة العراقية لديهما ضمانًا لهذا حتى تتمكن من استرداده.

لكن ما يتعلق بالأراضى العراقية ذاتها، وهى الأهم والأخطر على الإطلاق فى الأطماع الصهيونيّة.

فقد أصدر عدد من الحاخامات اليهوديين فتوى لا تختلف كثيراً فى مضمونها عن مثيلاتها سابقة الذكر والتى نادى بها أمثالهم من السابقين، وهى الفتاوى المستمدة من الدستور الدائم للدولة العبرية الذى وضعه (هيرتزل ورفاقه) مضمونها النص على أن العراق جزء من إسرائيل الكبرى – إلا أن الجديد فيها هو الذى جاء مع ما تم تحقيقه من المكاسب على الأرض.

فقد طالبت تلك الفَتْوى الجنود اليهود الأمريكيين والبريطانيين والجنود المشاركين فى الحرب على العراق أن يؤدوا صلات خاصة عند إقامة كل مبنى أو خيمة، أو الإستيلاء على مبنى فوق أرض العراق – غرب نهر الفرات.

أما الحاخام (نحميا ههورى) وهو أحد الحاخامات الذين أصدروا الفتوى السابقة قال فى توضيح لها: إن على الجنود اليهود فى القوات الأمريكية، والبريطانية فى العراق تلاوة صلات خاصة عندما يقيموا أى خيمة أو بناء عسكرى آخر على شواطئ نهر الفرات الغربية، لأن كل قطعة أرْض غَرْب نهر الفرات هى جزء من أرض إسرائيل الكبرى، ولذا يجب تلاوة هذه الصلات التى تبين تخليص هذه الأرض وتحريرها.

وقد أصدرت مجموعة أخرى من الحاخامات (الصهاينة) الذين نرفض نحْنُ أفكارهم جملة وتفصيلاً، ونصفهم بأنهم متطرفون، وهم فى الداخل الإسرائيلى مجموعة دينية محترمة تَحْظَى بكل تقدير، وتنال فَتواها عظيم الإهتمامات لأن المجتمع الإسرائيلى عبارة عن نسيج غير متجانس من شتى الجنسيات، الذين نزحوا من

أوطانهم إلى إسرائيل من أجل العقيدة التى جمعتهم تحت لوائها – وعلى أمل نزول نبى الله عيسى عليه السلام الذى سينزل لمعاونة ملك من نسل داود يحكم العالم !– من مملكة السلام ( أورشاليم ) بحسب زعمهم، وعلى ذلك فالمجتمع الإسرائيلى كله قد بُنى فى الأساس على عقيدة فاسدة، وهى تحظى باحترامهم وتقديرهم وتقديسهم، لذلك باتوا يقاتلون من أجلها، وعليه فقد دخلوا فى حروب كثيرة مع الدول العربية، وأخذوا يتسابقون فى سبيل تحديث قدراتهم، وتطوير آلاتهم لخوض المزيد من الحروب حتى قيام إسرائيل الكبرى، وفى هذا ما يقدم التبرير المنطقى لإستقبال فتوى الحاخامات اليهودية بمزيد من التقدير والإحترام لاحتوائها على ما يضمن استمرار عقيدتهم الفاسدة فى النمو والتطور.

ولقد أصدر هؤلاء الحاخامات فتوى جديدة مُغلّفة بالضلال والغَىّ محتوية على الإنتقام والثأر حيث قالوا: «على من يشاهد «بابل» أن يتلو صلاة تقول: مبارك أنت ربنا مالك العالم، لأنك دمرت بابل المجرمة».

ولعلنا نجد بين أيدينا مما وفرته لنا هذه الفتاوى، ما يُعد دليلاً قويًا وشاهداً حيًا على عنصرية رجال الدين اليهودى فى الدولة الصهيونيّة، ويؤكد كذلك على عنصرية الدولة الإسرائيلية ذاتها، التى تنظر إلى البشر من غير اليهود على أنهم أحقر شأنا، وأقل رُتبة، وكأن الرب يلفظهم.

ولعلك تستنتج من الفتوى السابقة أن هناك اتجاها أبعد مدى وأخطر أثرا – حيث النيّة تتجه طبقًا للمؤشرات إلى أن الكعكة العراقية سيلتهمها يهود أمريكا وبريطانيا فقط إلى جانب إسرائيل صاحبة الحق التاريخى والثأر القديم مع العراق مُنذ عصر السبى البابلى – أما الباقون فعليهم الذهاب إلى الجحيم.

ولا عجب فى ذلك، فالوطن القومى الكبير لليهود ( إسرائيل الكبرى ) الذى يحلمون به منذ أكثر من القرن من الزمان، جعلهم يتحدثون فى الأرض الواقعة غرب نهر الفرات على أنها أراض إسرائيلية تم تحرير بعضها، والبعض الآخر فى طريقهم إليه، وهذه هى التى تمثل فى عقيدتهم الحدود الشرقية لدولتهم المزعومة، وهو ذاته الحلم الذى جعلهم ينظرون إلى الحدود الغربية لوطنهم الكبير على أنها لا زالت مستعمرة من الإحتلال المصرى الغاشم!

لأجل ذلك رَفضَت إسرائيل وبشدة مع نهاية السبعينات إقامة سفارتها على الضفة الشرقية لنهر النيل فى محافظة القاهرة، وأصرت على أن يكون موقعها غرب

النيل فى محافظة الجيزة – وقد قبل سفيرها الإقامة فى منطقة المعادى بالقاهرة وهى الأرض الإسرائيلية التى تخضع للإحتلال المصرى الذى يجب قتاله وطرده حتى تحريرها ( لا تتعجب إنها إرادة الله ) مع الإعتذار لسيارات النقل بمقطورة .

هذا وقد ارتَبَط اسم العراق كثيراً بمشاريع الإستيطان والتوطين اليهودية والصهيونية المتعددة، وهى الحلم القديم المتمثل فى طرد الفلسطينيين من ديارهم وبلادهم، ونقلهم إلى مناطق أخرى مجاورة، وهو حلم له جُذُور تاريخية تعود إلى عام ١٩١١م، حيث اقترح القاضى ( يهوشع بوخميل ) – من أصل روسى – ( رفيق هيرتزل ) أن يقوم اليهود بشراء أرض فى العراق كى يتم ترحيل الفلسطينيين إليها، ثم تطورت تلك الدعوة بعد تفتيت الخلافة الإسلامية التركية، وتجزئة الجثة العربية الهامدة، هذا غير انشغال الشعوب العربية بالمتغيرات والتطورات التراجيدية السريعة التى مرت بها المنطقة خاصة فى العراق الذى شهد موجات متتالية من التوترات، والثورات التى مهدت بعد إلى إعلان الملكية، وفى وسط تلك الظروف جاءت دعوة العالم اليهودى ( أهارون أهرونسون ) لتحويل الوادى الواقع بين دَجلة والفرات إلى جنة العالم، كما كان عليه الحال فى العصور القديمة، وعرض مساحات من تلك الأراضى على الفلسطينيين، وبذلك يجدون إغراءً قوياً للهجرة والإستيطان فى العراق .

أما « ابن جوريون » فقد اقترح على اللجنة التنفيذية للحركة الصهيونية فى فلسطين عام ١٩٣٨م – أن يعرض عبر وسطاء لم يحددهم على العراق عشرة ملايين جنيه استرلينى من أجل توطين ( ١٠ ) آلاف أسرة عربية من أرض إسرائيل لديها – المقصود – « الأرض المخصصة لقيام إسرائيل عليها والتى وردت فى القرار ١٨١ فى ٢٩ / ١١ / ٤٧م عن الأمم المتحدة بشأن تقسيم فلسطين » .

وفى عام ١٩٤٢م – أثناء انعقاد المؤتمر الخامس للهيستدروت، طرحت فكرة شراء أراضى عراقية تقع بين الرافدين لنقل الفلسطينيين إليها، ولم يلقى الطرح التأييد المطلوب بسبب الظروف الداخلية بالغة السوء، والتطورات الراهنة فى المنطقة، مع استعار الحرب العالمية الثانية .

وقد حاول « ولتر كلاى ملك » الأمريكى – العزْفَ على وتر التهجير إلى العراق

ضمن كتابه ( أرض إسرائيل الموعودة ) الصادر فى ١٩٤٤م بقوله : « إذا وجد العرب أنهم لا يستطيعون العيش فى بلد صناعى الذى هو المجتمع الإسرائيلى المتقدم، فسيكون بمقدورهم الإستيطان فى وادى دجلة والفرات فى أرض العراق الخصبة حيث توجد المياه بوفرة للرى » .

وعلى صعيد الممارسة الفعلية والتطبيق العملى لنظريات الصهاينة وحديث الأمريكيين أكد مصدر كان ضمن الفريق الدبلوماسى العراقى فى الأردن قبل سقوط النظام العراقى فى تصريح لإحدى وكالات الأنباء أن العديد من اليهود العراقيين الذين يحملون حاليًا الجنسية الإسرائيلية وصلوا بغداد بحثًا عن منازلهم القديمة من جهة ولشراء عقارات ومنازل وأراضى فى العراق من جهة أخرى، وأشار المصدر إلى أنه وبسبب غياب الجهة الرسمية المعنية بتسجيل الأراضى والعقارات، والإشراف على بيعها وامتلاكها فى العراق، يقوم اليهود المذكورون بأخذ ورقة مكتوبة بخط اليد من صاحب العقار، وبحضور عدد من الشهود تفيد أنه قام ببيعهم عقاره قبل أن يتم دفع مبالغ كبيرة له قياسًا لقيمة العقار الأصلية[١] .

وقد تنبهت بعض فصائل المقاومة العراقية إلى ما يجرى، وبدأت فى توزيع منشورات على السماسرة المعنيين بهذه الصفقات تهددهم فيها من الإستمرار فى التوسط لليهود فى عمليات الشراء، وذلك لأن الحقيقة التاريخية الثابتة فى القضية الفلسطينية أن عملية ابتياع اليهود لديار الفلسطينيين وأرضهم كانت هى الباب الرسمى الذى دخلت منه الصهيونية العالمية إلى قلب فلسطين.

غير أن المُلفت للنظر أن اليهود العراقيين الذين يشترون الأرض والديار فى العراق كانوا يغادرون بغداد فوراً فى طريق عودتهم إلى تل أبيب، وهكذا تبدو الأمور وكأن شيئًا ما يُعدّ فى الخفاء، ولم يأت أوانه بعد – ولكنه سوف يأتى .

وهكذا أمسى الإسرائيليون والأمريكيون يعملان جَنْبًا إلى جنْب فى مصاف الأكابر للسيطرة على العالم، وإخضاعه ابتداء من المنطقة العربية .

وللقرآن الكريم رأى حاسم فى هذه التطلعات التى تنبئ عن نجاح مؤقت لتلك

---

( ١ ) جريدة الأهرام القاهرية ص٦ من مقال للأستاذ سامى القمحاوى.

المخططات ومن خلاله سوف يدركون كثيراً مما ساروا إليه – ويُصيبون ما عملوا لأجله، ولكنه إلى ذلك يجزم بحتمية النهاية وسوء المصير – وهو مصير معلق على ظهور فَسَادهم الكائن بأمر من الله تعالى ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ ﴾ [ الإسراء: ٤ ]، ثم تصير لهم الغلبة والتفوق فى كثير من الأمور ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [ الإسراء: ٤ ].

وكان علو الجاه وارتفاع الشأن أمر حتمى القيام على أرضٍ أتلفها فسادهم.

ومعناه: لولا فسادكم فى الأرض وسعيكم بالتخريب، والتهويد، والقلاقل، والفتن، وإثارة الحروب والنزاعات، والمخاصمات، والقتل، والتشريد، والتعذيب بالحرق ونشر أنبياء الله بالمناشير، وذيوع الرذيلة، والفجور، والمجون والبلوى – لولا كله – ما أصبتم علواً، ولا أدركتم سُؤدداً.

وذلك لأنهم لن يحققوا تقدمًا إلا على حساب الآخرين، ولن يهنأوا بغير بؤس البائيسين – ولن تُبنى سعادتهم إلا على شقاء الآخرين، ولنا فى النظر إلى حال أمتنا العبرة حيث قاست وعانت من فسادهم وإفسادهم.

وهم الآن يسرعون الخُطى طلبًا للعلو والسيادة، يُساعدهم فى ذلك ما ملكت أيديهم من الأموال الطائلة التى لا حصر لها – وهى فى أغلبها أموال عربية وإسلامية مُهاجرة أو مهرّبة، والتى كان آخرها ما فضحته جريدة الأسبوع المصرية حين كشفت تصرفًا غريبًا وغير مفهوم لرئيس مجلس إدارة إحدى شركات التأمين الوطنية المصرية، حيث أقدم الرجل على سحب مبلغ ٢٢ مليون جنيه من أموال الشركة ( القطاع العام ) المودعة فى أحد البُنوك الوطنية، وقام بإيداعها فى بنك إسرائيلى – أمريكى / مشترك بمشاركة بعض الأفراد المصريين وهو بنك ( نوفيا سكوتاشيا ) الذى يتخذ من العمارة الموجودة بها السفارة الإسرائيلية بالجيزة مقراً له.

وكما قالت الجريدة فإن المثير فى الأمر أن الوديعة التى تم سحبها من البنك المصرى كانت تُدر فائدة سنوية تقدر بـ٢ مليون جنيه، تم وضعها فى الحساب الجارى للبنك الإسرائيلى – الأمريكى المشترك، وهو ما يعنى حرمان الشركة من الفائدة السنوية التى تعود عليها وعلى حُقوق المؤمّنين وحملة الوثائق.

وقد أرجعت مصادر مطلعة قرار رئيس الشركة إلى توجيهات عليا صدرت له من أحد الوزراء لتدعيم البنك الإسرائيلى على حساب البنك الوطنى ( المصرى ) ومصلحة شركة التأمين[1] الوطنية.

وهذه واحدة تم الكشف عنها مؤخراً، فى أكبر الدول « النامية » التى تأتى فى مصاف الدول الرائدة فى العالم الثالث فما بالك من المتشابهات فى الدول « النامية »، وهى التى تغلغل فيها النفوذ الإسرائيلى ورسموا سياستها، وامتلكوا فضائياتها.

---

( ١ ) جريدة الأسبوع ٢٠/١٠/٢٠٠٣ ع – ٣٤٦.

وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦].

والمقصود بالبنين هنا هم جموع اليهود المهاجرين من روسيا وألمانيا وأمريكا وكندا واستراليا والحبشة، والمغرب، واليمن، ومصر ومن كثير من دول إفريقيا وأسيا وهم اليهود المتدينون – المؤمنون بالوطن القومى وحقيقة إقامته على أرض المعاد لحكم العالم من فوقها بواسطة ملك من نسل داود الذى سوف ينزل عيسى عليه السلام من السماء على أورشاليم لمساعدته ومؤازرته فى إدارة شئون العالم (حسب عقيدتهم الخربة)، هذا بخلاف المسيحيين اليمينيين المتطرفين الذين يُديرون العالم هذه الأيام وهم أصحاب أيديولوچية المسيحية المتصهينة وعلى رأسهم (جورج بوش الثانى) الذى قال: إنه يحارب العراق بتفويض من الرب وأن السماء تبارك هذه الحرب.. وهو الرئيس الأمريكى الذى سخّر طاقات بلاده، والبلاد المسيحية التى تدور فى فلكه مثل: بولندا، وأسبانيا، وبريطانيا، واستراليا لخدمة إسرائيل، وضمان أمن إسرائيل، وسلامتها وضمان تفوقها وتسيدها وهؤلاء جميعًا قد حاربوا العراق وسحقوه نيابة عنها، حتى مكّنوا لرئيس الوزراء الإسرائيلى (إيرئيل شارون) من دخول العراق والمبيت فيه لليلة واحدة وقد أذل شارون (صداء حسين) عندما توجه إليه فى معتقله السرى للشماتة واستعراض العضَلات، وللتأكيد على إرساء قواعد الدولة اليهودية فى العراق، فيما يعد تأكيداً على ترسيم حدود الوطن القومى الذى ذكرناه آنفًا.

وهكذا اجتمعت الصليبية المتصهينة مع أبناء صهيون من جديد تحت لواء واحد هو محاربة الإسلام من أجل القضاء على الحضارة الإسلامية قاطبة، وتكسير قوائمها، وتحطيم أعمدتها وخاصة (القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة).

ووجدت الحضارة الإسلامية نفسها أمام العدوين التاريخيين فى وقت يتشدّقُون فيه ملء الأفواه بالسلام والحرية والعدل والخيرْ والمساواة، وقد ملت الآذان سماع نداءاتهم (حوار الحضارات) أو يقولونها أحيانًا (حوار الديانات).

إنه الصراع يا سادة – وهو التعبير الأصح من قولهم لما يشهد به الواقع على كذبهم – إنه هو:

صراع الحضارات وحوار الدبابات

وهو الصراع الذى سوف ينتهى حتمًا عند النهاية.

النهاية التى ستشهد يقينا مصيرهم الحتمى.

على أرضنا الطيبة، أرض الأنبياء، ومهد الرسالات، ومفتاح الحضارات، وهى ستكون دائمًا كما كانت قبل مقبرة الغزاة من النيل إلى الفرات.

* * *

## (ب) المصير الحتمى

إنتهينا فيما سبق عند الحقيقة المؤكدة المتمثلة فى وجود فعلى للأعاجم على أرض العراق، وقد جاؤا يدفعهم الحقد المرير على دين الله الذى ارتضي لعباده وهَداهم إليه، غير أن كثيرين من خلقه تمردوا على إرادته تعالى واستحبوا العمى على الهدى، أولئك هم الحاقدون – أولئك هم الكافرون، الذين جاؤا مدفوعين إلى المصير الحتمى الذى يوشك أن يحصرهم – إنه القدر المحتوم الذى يمضى بهم «إلى قدر معلوم» طبقًا لمشيئته تعالى وقدرته القاهرة التى قدرها على عباده (عندما خلق الكون)، ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾ [الفرقان: ٢] فنعم القادر المقتدر، ونعم القدر المقدور ﴿ **فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ** ﴾ [المرسلات: ٢٣].

إنه القدر الحتمى الذى بينه الرسول ﷺ حين قال فيمَا رواه مسلم من حديث زهير، عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا مُنعت العراق درهمها وقفيزها، ومُنعت الشام مديها ودينارها، ومُنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتُم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم شهد على ذلك لحم أبى هريرة ودمه».

وقال أحمد: حدثنا إسماعيل حدثنا الجريرى عن أبى نضرة قال: كنا عند جابر قال: يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا من أين ذلك؟ قال: من قبل العُجم يمنعون ذلك، ثم قال يوشك أهل الشام أن لا يُجبى إليهم دينار ولا مُدّ[١]، قلنا من أين ذلك قال من قبل الروم يمنعون ذلك[٢].

ولقد بينا ذلك بيانًا وافيًا فى كتابنا «هذا بلاغ للناس» ويمكنك الرجوع إليه

---

(١) المُدُّ: مكيال قديم اختلف الفقهاء فى تقديره ج (أمْداد).

(٢) الفتن والملاحم للعلامة ابن كثير ص٣٩.

وفيما ذُكر يتضح أن أهل العراق والشام قد نزل بساحتهم ما قال الرسول ﷺ، ولم يتبق من وقوع ما أخبر به نبينا المعصوم سوى نصيب مصر من المؤامرة الخبيثة، وهو ما ذهبنا إليه وما أكدنا عليه فى الجزئين السابقين على هذا الجزء، المشار إليهما فى غير موضع، ونضيف ههنا:

أن الفرات سيحسر عن جبل من ذهب تتقاتل عليه الناس – الكثيرون من الناس – وستكون هناك مقتلة كبيرة تجرى معها الدماء أنهارًا، يتقدمهم الغزاة المحتلون العجم والروم الذين سيقتلون ويُقْتَلون من أجل الفوز بكنز الذهب الكبير، حيث قال البخارى: حدثنا عبدالله بن سعيد الكندى عن عقبة بن خالد، حدثنا عُبيد الله عن حبيب بن عبدالرحمن عن جده حفص بن عاصم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الفرات أن يُحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا» – قال عقبة: وحدثنا عبدالله حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ﷺ مثله إلا أنه قال: «يُحسر عن جبل من ذهب»، وكذلك رواه مسلم من حديث عقبة ابن خالد من الوجهين، ثم رواه عن قُتيبة عن يعقوب بن عبدالرحمن عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن سول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يُحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو»[1].

مفاده أن الناس إذا سمعوا بجبل الذهب الذى سيحسر الفرات عنه، ساروا إليه وتقاتلوا عليه، لأن أعناقهم مائلة إلى طلب الدنيا.

ولثقة العجم فى صدْق ما قاله الرسول الأمين ﷺ كانوا أشدَ الناس حرْصًا على الوصول إلى الفرات قبل غيرهم من الناس، وكانوا كذلك هُم أسبق الناس استعدادًا للقتال عليه، وذلك لأن عيونَهم لا ترى إلا الذهب الذى يتربع على قمة القواعد الإقتصادية العالمية، حيث يقوم الإقتصاد الدولى أصلاً على أساس الذهب الذى يحتكره اليهود، لا على أساس قوة العمل والإنتاج والثروات بحيث لا يتربح العالم أبدًا، لأن الذهب سلاح ماضٍ فعال، فهو يعد أقوى الأسلحة لإثارة الرأى العام وإفْسَاد الشعوب، والقضاء على الضمائر والأديان، والقوميات، حتى الأسرة، وكذلك إغراء الناس بالشهوات البهيمية الضارة، وإشاعة الرذيلة والإغلال، حتى تُستنزف قُوى الأمين استنزافًا فلا تجد مفرًا من القذف بأنفسها تحت أقدام اليهود.

ولعلنا نتذكر جميعًا تلك الأنباء التى طيرتها وكالات الأنباء وتناولتها الصحافة العالمية فى أعقاب أحداث ١١/٩/٢٠٠١م والتى مفادها أن أكثر من خمسين طنًا من

---

(١) الفتن والملاحم للعلامة ابن كثير ص٣٨.

سبائك الذهب الخالص – أى – « خمسين ألف كيلو جرامًا » دُفنت تحت أنقاض مركز التجارة العالمى الذى كان فى طليعة الأهداف التى استهدفتها التفجيرات المذكورة.

ولعل إسراعهم الخُطى نحو الشرق، والنزول على قلب بغداد، يؤكد أن ما قاله ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان – أن العراق يوشك أن لا يجبى إليه قفيز ولا درهم – أى أنه سيمتنع عليه القفيز والدرهم.

والقفيز فى بطن اللغة هو ( المكيال ) – وحدة كيل كان يكال به قديمًا يختلف مقداره فى البلاد ويعادل بالتقدير المصرى الحديث ستة عشر كيلو جرام، ومن الأرض قدر مائة وأربع وأربعين ذراعًا، وهو كذلك حديدة مُنعقفة يدخل فيها لسان القفل ونحوه ( ج ) أقفزه[1].

أى أن يُحرم العراقيون طيب خيرهم، وزرع أرضهم – فلا كيل يكيلون ولا يكتالون، ولا أرض يزرعون لأنّهم سيجدون أنفسهم مضطرين لبيع أرضهم، أو تركها مع تحويل مجرى الفرات من منابعه التركية التى بيدها فتح محبس المياه أو غلقه – حسب مشيئتها – خاصة أنها وقّعت مع الإسرائيليين اتفاقًا ببيعها لهم حصص المياه الزائدة عن الحاجة، والتى سوف توفرها السدود الجارى إنشاؤها على الأراضى التركية[2] والتى بواسطتها يتم تجفيف الفرات، بينما تطمئن إسرائيل على مصادرها من المياه العذبة ( كما ذكرنا سابقًا ) وحتى يخرج جبل الذهب المرتَقَبْ بعد أن يجف الفرات.

إنهم يدرسون كل شىء، ويخطّطون لكل شىء منذ سقوط الأندلس – وهم كذلك يخططون لاستقبال عيسى عليه السلام فى أروشاليم ( مملكة السلام ).

إنه سعيهم نحو المصير الحتمى.

يا إخوة الدين – والوطن واللغة – والتاريخ.

إنه لن تكون هناك إمبراطورية أمريكية على أرض الشرق تقود المنطقة والعالم إلا على حساب ( أشلاء ) دول متحللة قزمية آمنت بالجزئية والقُطرية، ولن تكون هناك إسرائيل كُبرى قوية إلا على حساب « مصر » صغرى ضعيفة.

ولعلنا نَنْظر إلى الخريطة التى رسمها تيودور هيرتزل سنة ١٩٠٤م، وأعاد صياغتها وقام بتعديلها الحاخام ( فايتسمان ) ١٩٤٧م، وفيها تلاحظ أن إسرائيل الكبرى التى ينادون بها من « النيل إلى الفرات » وهى تشمل لبنان وسوريا وبعضًا من العراق والكويت وشمال الخليج وبعضًا من أرض الحجاز وشمال الجزيرة العربية خاصة يثرب ( المدينة المنورة ).

---

( ١ ) انظر – هذا بلاغ للناس – للكاتب.

( ٢ ) مواقع عديدة على شبكة الإنترنت.

وما كان هيرتزل ليدُر فى ذهنه، ومِن بعده فايتسمان أن يرسما تلك الخريطة المعلقة بسقف الكنيست الإسرائيلى، ويحددا جغرافيتها على أرض لها أصحابها وكيانها ووجودها وتاريخها إلا عن طريق استخدام «محراث» التفتيت والشرذمة ولعلنا ما نسينا ما أرادوه بلبنان عند حَرْبه الأهلية التى استمرت ١٦ عامًا، وما كان بشأن العراق حتى سقط فى قبضة الأمريكيين، وما قالوه فى شأن تقسيم سوريا إلى دويلات أربع (كردية – درزية – سُنيّة – شيعية)، أما السودان فسوف تنتهى مأساته إلى دولة إسلامية شمالية، وأخرى مسيحية جنوبية – وهو الواقع على الأرض الآن ومنذ حين مضى، كما أن السعودية لم تسقط من حساباتهم: لأن نصيبها معلوم بالضرورة، حيث رسموا لها نموذجًا خاصًا بها، وكذلك فهناك مشروع فى الأدراج لتقسيم ليبيا إلى ثلاث دويلات ومعها الجزائر – وسوف يدخل المغرب العربى فى دوامة الفَوضى السياسية والإضطرابات المزمنة فى بداية تفعيل المخطط ضده بعد أن تدين الأمور بالطاعة فى جهة المشرق العربى.

وتأتى مصر بحكم عبقرية مكانها، بحيث باتت تتحكم فى أخطر القنوات الملاحية البحرية فى العالم – كما أنها همزة الوصل بين القارتين الإسلاميتين، وهى الغنيّة القوية بأبنائها، وإيمانها، وإمكانياتها، وهى بالتالى لا تَصْلح لأن تكون رفيقًا مؤتَمَنًا لا يسبب إزعاجًا أو تحديًا فى الإطار المزعوم والمرسوم والمحدد، فكان لا بد من إهلاك شبابها، وتدمير اقتصادها، وكسر أنفها – لذلك جاءت تحتل بؤرة اهتماماتهم الإستعمارية والتخريبية، وقد شمر الجميع عن سواعدهم بقصد إفقارها، وتهميش دورها لإسكات صوتها ومَحْو دَوْرها.

فاجتهدت إسرائيل وإلى جوارها أمريكا بشكل مباشر كان أو غير مباشر بمحاولات متعددة للضغط عليها حتى يتيسر لهم تطويعها وتسييسها لتهيئتها للاندماج فى الإطار الإقتصادى والسياسى الجديد المسمى (الشرق الأوسط الجديد) الذى يُقاتل لأجله الأمريكيون والإسرائيليون من خلال الترويج لأحلام السلام المنشود، والديمقراطية المزعومة. وهو سلام القهر والإبادة والإذلال، وديمقراطية عوابر القارات وأم القنابل، وهو السلام الذى حل على الأفغانيين والعراقيين والذى ينعم به الفلسطينيون هذا وقد تأثر السوك الإنسانى على حين غفلة من غيبة الضمير فظهرت المحسوبيات والروتين، وأهملت الأولويات، وقطاعات كبيرة فى الخدمات، وسيطر غير الأكفّاء على أكثر دوائر صنع القرار الشعبى التاثير – سريع الأثر، وكذلك سيطروا على مواقع الإنتاج، لذلك ضاع الكثير، وخسرنا الكثير، وبات الجميع على شفا الإنهيار التام.

واختفت الصيحات المنادية بالقومية العربية، حتى أولئك الذين يقولون بأنهم إسلاميون، لم أرى فيهم غير عصابات ديكتاتورية تحكم شعوبها بالحديد والنار، حتى تمردت عليهم شعوبهم غير مرة.

فدعاة القومية كتيار معاد للإسلام باعتباره توجهًا عَلْمانيًا، لم تصلح دعوتهم، ولم تُجد - ولأنها لم تتكيف مع المتغيرات فقد ماتت في المهد، أما أصحاب الصوت الإسلامي المتشددون أو المعتدلون على السواء، فلم يُسمع حتى لصدى صوتهم لبعدهم عن روح الإسلام.

لذلك أصابنا الدَوَار، وشكونا الهوان، وشَارَفْنَا على فقدان الهوية، حتى أصبحنا نَبدُو وكأننا لا نحن عرب، ولا نحن مسلمون.

وهذا منتهى أملهم أن يصبح المسلم في معزل عن القرآن الكريم، وأن لا يعتز العربي بعروبته، وأن يفقد الجميع روح الجهاد والوطنية والإنتماء - وإن فقدوها فهي لا تعود إليهم أبداً، لأن الصهيونية تمقت الإسلام مقت الموت - لأن القرآن الكريم فضحهم، وكشف مؤامراتهم، كما أنه أكد على عُلوّ شأنهم ( ولتعلن علواً كبيراً ) ونحن الآن نشاهد بدايات هذا العلو الزائف المصطنع، علو الإرهاب النّووي، والكيماوي والبيولوجي والميكروبي، علو تسانده أمريكا وأوروبا والمشركون من غيرهم، كما أفاد القرآن الكريم أنهم سيتملكون آلة إعلامية كبيرة مدوية، يصلون بها إلى كل شبر على ظهر الأرض، وستبلغ الآفاق والرحاب، وهذه لها أبواق دعائية سامة ومؤثرة، وسريعة بفضل قدراتها الهائلة على أسْر العقول الفارغة، أو أنها التي تفرغت بسبب الدعاية المضللة، والإعلام المنحل، والثقافة الفاسدة - حتى أصيب الشباب بهوسِ الحب والجنس والكورة - وهذا ما أكده القرآن الكريم حين قوله تعالى: ﴿ **وجعلناكم أكثر نفيرا** ﴾.

فقد باتوا عاقدين العزم بسبب ذلك على محاربة الإسلام قلبًا وقالبًا، شكلاً وموضوعًا، إنهم لذلك يَتحَالفون مع الشيطان، ويتآمرون لإزهاق روح الدين الإسلامي، كما أنهم يجتهدون ويجدون كي يقتلعوا الإسلام من جذوره، حتى لا يتململ من جديد فيهب منتفضًا بنفض الغبار الذي تراكم عليه، ويهب من جديد على قدميه، محطمًا قُيودهُ منطلقًا نحو التحرير - وهو إن قُدِّر له ذلك فلن يوقفه أحد، أو يعوقه متراس، أو يحول دون انطلاقته حائل، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ **إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا** ﴾ [ الكهف: ٢٠ ].

* * *

## (جـ) اللعب على المكشوف

قلنا إن وحيد القرن جاء إلى الشرق ليقيم إمبراطورية كبيرة له على أرضنا الطيبة، كي ينطلق من خلالها لإخضاع العالم ما استطاع حتى يعمل الجميع فى خدمته، ويأتمرون بإشارته.

وقد تمكن فى بداية طريقه الطويل أن يقف فى أول محطات وصوله على قلب عاصمة عربية عزيزة علينا جميعاً، وهى – حاضرة الخلافة العباسية فى عصريها الأول والثانى، وقبلة الطلاب والعلماء، ومنبت الفقهاء حيناً من الدهر – إنها – «بغداد». العاصمة الأقوى فى مصاف الدول العربية والإسلامية إلى جانب القاهرة.

ولما استقر هناك أخذ يستشعر بحواسه المنطقة كلها ليحدد الخطوة التالية – أين يهبط؟ ومتى؟!

استقرت طموحاته عند الرياض التى أسماها (بذرة الشر) وطهران المارقة، ودمشق التى صدر بشأنها قانون أطلقوا عليه (محاسبة سوريا وسيادة لبنان لعام ٢٠٠٣م) وهو القانون الذى وقع عليه الرئيس الأمريكى (بوش الثانى) مساء السبت ١٤ / ١٠ / ٢٠٠٣م والذى أعده الكونجرس الأمريكى فى وقت سابق من هذا الشهر، وهو نموذج يكاد يتطابق مع ما كان فى مشكلة العراق منذ البذرة الأولى فى صراعه مع أعداء الله.

وإذا استثنينا بترول العرق والسعودية، وأمن إسرائيل، وذهب الفرات – ونحّينا كل ذلك جانباً. لبرز سؤال حيوى على السطح – وهو لماذا التعجيل بالشرق العربى وطعنه أولاً.؟ علماً بأن المغرب العربى هو الأقرب جغرافياً، والأدنى تكلفة مادية إذا ما أراد وحيد القرن إقامة إمبراطوريته الإستعمارية هناك.

ومن فوره تكون الإجابة:

يرتبط الإتحاد الأوروبى بمصالح مشتركة ومنافع متبادلة مع دول الشمال الإفريقى الواقعة إلى جنوب المتوسط ومن بينها مصر، وهناك مشروع يعرف باسم (اتفاقية الشراكة الأورومتوسطية) وهو المشروع الذى تحاول أوروبا استغلاله باعتباره الوسيلة المثلى التى تضمن السيطرة على اقتصاديات المنطقة، وربطها بالنظام الأوروبى، وهو ما يعنى ضمناً وقوف هذه الإتفاقية موقف التيار المناهض للمصالح الإقتصادية الأمريكية فى المنطقة، وإجهاض مشاريعها الإستعمارية قدر المستطاع.

ولذلك فإن جنوب المتوسط يقع فى العين والقلب الأوروبيين باعتباره فناءً خلفياً للأمن الأوروبى كاملاً، خاصة وأن الفتح الإسلامى قد سلك طريقه إلى أوروبا عن طريق الأندلس انطلاقاً من بلاد المغرب العربى.

تدارك الأمريكيون هذه الحقيقة مبكراً، فرحلوا مباشرة إلى الشرق بعد أن أسقطوا الإتحاد السوفيتى، وبعد أن تمكنوا من القضاء على أذنابه وأعوانه والقائمين على رعاية مصالحه وفى مقدمتهم (روسيا) التى تزوجت من الدولار الأمريكى العجيب خلال شهور معدودة من حكم رئيسها «فلاديمير بوتين»، وبعد أن تم تقييدها بأغلال الديون.

وكذلك فإن المشرق العربى صار بلا غطاء عسكرى أو سياسى بعد أن اشتغل حكامه بحروب أنهكت قواه – وبعد أن نزف طويلاً من جراء تلك الحروب البينية – (العربية – العربية، العربية الإسلامية).

وعلى مسار آخر فإن أمريكا لم تمهل القارة السمراء، حيث ذهبت إلى هناك لمحاصرة الأطماع الأوروبية بوجه عام، ولمزاحمة النفوذ الفرنسى والبريطانى – فى الوسط والغرب والجنوب. وقد قام بوش الثانى بزيارة كل من بتسوانا، وأوغندا والسنغال، وجنوب أفريقيا، ونيجيريا التى كانت آخر محطاته قبل العودة إلى واشنطن فى السبت ١٢/٧/٢٠٠٣م، وكان من المقرر أن يُعرّج بوش أثناء رحلته على ليبيريا، غير أن الأحداث الجارية على أراضيها جعلته يرجئ الزيارة إلى مرة قادمة.

وما فعله بوش وسعى إليه هو امتداد لعمل كبير بدأه سابقه «بيل كلينتون» فى رحلة مشابهة لبعض دول القارة السمراء قبل خروجه من البيت الأبيض بشهور قليلة.

أما إسرائيل فإنها ذهبت إلى المغرب العربى وصارت لها علاقات سياسية واقتصادية قوية مع المملكة المغربية، وموريتانيا، وتونس، غير أنّ العلاقات مع موريتانيا تعرضت لأزمة شديدة عقب تمكن قوات الجيش الموريتانى من دحر الإنقلاب العسكرى وإعادة الرئيس «معاوية ولد سيدى أحمد الطايع» إلى رأس الحكم عند صيف ٢٠٠٣م.

يبدو المشهد الآن فى منتهى الغرابة والتعجب، حيث الكائن الآن على سطح الأحداث يؤكد على أنه: هناك دولتان تعملان لإقامة إمبراطوريتين منفصلتين على أرض واحدة، حتى وإن كان عن غير قصد منهما..

الأولى: إمبراطورية وحيد القرن التى تقود قطار البشرية وتندفع به بسرعة هائلة نحو المصير الحتمى، تُشجعها قدراتها العسكرية، تسوقها أطماعها المعلومة، حتى وإن أعلنت عن وازع دينى يقودها، وأنها تنساق خلفه للإصطدام بالشعب الحر الأبى الذى يعيش على أرض تقع ما بين (الخليج العربى شرقاً، والمحيط الأطلسى غرباً)، وهى كذلك سوف تصطدم بالحضارة الصينية فى الشرق الأقصى – يؤكد على ذلك

رغبتها الشديدة فى الإبقاء على موضوع المشكلة الكورية الشمالية التى صنعتها هى، وإرسال إسرائيل إلى الهند، وبنجلاديش مبكراً فى مهام معلنة وأخرى غاية فى السرية.

الثانية: الدولة العبرية: (إسرائيل الكبرى) وهى بلغة التاريخ إسرائيل الثانية[1] والتى ستفسد فى الأرض كما فسدت الأولى التى دمرها (نبوخذ نصر – وهادريانوس)، وفسادهم هذا هو الذى أنبأنا به القرآن الكريم – وهو سبب غُلّوهم، وهو اسم جنس تندرج تحته كل أنواع وأشكال الفساد مما نعلم، وما لا نعلم – مما نطيق، وما لا نطيق – ومما نُدرك، وما لا ندرك.

أى أن الشرق سيكون نهباً للأطماع الأمريكية، وأرضاً خصبة للفساد الإسرائيلى البادئ فى طور العلو والتصاعد.

والسؤال: هل يستوعب الشرق قيام إمبراطوريتين مختلفتين فى العقيدة والأهداف. وإن اتفقا فى الأسلوب والأدوات؟

نقول: لو أن الأمريكيين يرقبون جيداً حركة التاريخ، ويستوعبون حقيقة الأحداث ما تمادوا فى الضلال والغى، وما استمروا فى تطوير علاقاتهم بالإسرائيليين إلى حد الدفاع عنهم والقتال نيابة عنهم فى كثير من المعارك الخارجية، ولَمَا استخدمت كذلك حق النقض (الفيتو) ضد أى قرار دولى يصدر عن الأمم المتحدة فيه إدانة لإسرائيل.

إذ كان من الممكن أن تستقطب الولايات المتحدة جميع أنظمة الحكم العربية وكسب صداقة شعوبها – بعد أن أصبحت هى وحدها وبلا منافس أو منازع رئيس مجلس إدارة العالم – وخاصة أن العرب أدمنوا اللجوء إلى الإعتماد على القوى الخارجية، واعتادوا الحلول المستوردة حتى لمشاكلهم الداخلية، وهم أكثر شعوب الأرض عرضة لأن تفرض عليهم حلولاً خارجية لمشكلاتهم كما هو الحال الآن فى مشكلة دارفور والجنوب السودانى، وذلك بسبب العجز العربى الفاضح عن الإتفاق على كلمة سواء تلبى الحد الأدنى من المطالب الجماهيرية الجارفة المنادية بعمل عربى عام وموحد – غير أنهم جميعاً اتفقوا اتفاقاً جاداً وملزماً بعدم الإتفاق.

وهذا هو الخطأ الاستراتيجى الأمريكى الواضح بعد غيبة قطب آخر يحفظ الموازين فى العلاقات الدولية – حيث لم تستثمر الواقع العربى، ولم تحاول إعادة صياغته بما يحقق المصالح المشتركة لجميع الأطراف، وفى مقدمتهم الولايات المتحدة ذاتها.

---

(١) انظر المؤامرة الكبرى – للكاتب.

إنما هو الإيمان المطلق – والعقيدة الخربة التى قاعدتها كراهية الإسلام والمسلمين على طول الخط وبلا ضوابط، كما بينا طوال موضوعنا هذا – بل منذ الكتاب الأول لهذه الموسوعة، وهو المعنون – «المؤامرة الكبرى» المشار إليه فى غير موضع – مروراً بكتاب «وحيد القرن ورياح التغيير»، وانتهاء بالجزء الرابع المعنون (أغوار العالم الإسلامى) أعاننا الله على إخراجه.

لذلك راح الأمريكيون يطورون علاقاتهم بالدولة الصهيونية رغم العداء الأيديولوچى التاريخى القديم بين المسيحية واليهودية، واللذان التقيا فى عدائهما ومعاداتهما ضد الإسلام وأتباعه.

بيد أن الخطأ الأمريكى الأكثر أهمية: أن الأمريكيين نَسَوْ أَوْ تَناسَوْا حقيقة الجوهر الإسرائيلى صناعة ومنهجًا وأسلوبًا.

فالذى يقرأ التاريخ: يعلم أن الإسرائيليين تنكروا لحسن الصنيع. ولم يحفظوا الجميل – فإسرائيل هى صناعة بريطانية خالصة – وعلى الرغم من ذلك ولّى الإسرائيليون وجههم شطر الولايات المتحدة بمجرد أن تأكد الوجود العسكرى الأمريكى الذى حسم الحرب العالمية الثانية باستخدام الأسلحة الذرية الجديدة. والتى بفضلها تغيرت مفاهيم القوى وموازين التسليح فى العالم، وحدث معها التراجع البريطانى للخلف ليكون قوة ثالثة أو رابعة بعد الإتحاد السوفيتى وفرنسا، ولم يقف الإسرائيليون عند هذا الحد فقط إنما يهددون الوجود البريطانى ذاته فى فلسطين، وضَرَبوا مصالحه هناك، بل وذهبوا إلى حد قتل الإنجليز أنفسهم.

ويذكر التاريخ لإسرائيل فور أن ولّت وجهها صوب الغَرْب لتحج وتصلى إلى واشنطن بدلاً من لندن، أن عصاباتها الصهيونية بدأت فى استخدام أجهزتها الإرهابية السرية فى الضغط على بريطانيا، فوضعوا خطة لإغتيال وزير التموين الإنجليزى [اللورد موين] وقد سقط صريعًا على أيدى الإرهاب الصهيونى كما نسف الإسرائيليون فندق «داوود» فى القدس بنزلائه فى ٢٢/٧/١٩٤٦.م وهكذا تجرعت بريطانيا كأس الإرهاب الذى أذاقته للعرب عمومًا والفلسطينيين خاصة، بعد أن تجرأت عليها إسرائيل لإجبارها على تسليم الملف الإسرائيلى إلى النجم الجديد (أمريكا)، وقد كان لها ما سعت إليه، فتم تشكيل اللجنة الإنجليزية الأمريكية فى نوفمبر ١٩٤٦م.

وبهذا يثبت أن الإدارات الأمريكية قصيرة النظر – فهى لا تستطيع عبور الآنيَة إلى الماضى البعيد أو القريب، ولا حتى تخطى الحدود بالنظر إلى التخطيط لغد

سعيد، إنما هم قد عكفوا واكتفوا بالعمل على تأكيد هيمنتهم وسطوهم على مقدرات الشعوب ليتأكد للجميع أن أمريكا كما قلنا دولة استعمارية من طراز فريد.

وتكاد تنطق الشواهد بأن الأطماع الأمريكية والإسرائيلية سوف تنمو وتزداد نمواً وازدهاراً، غير أن المصالح الإسرائيلية هى التى أخبرنا القرآن الكريم بأنها ستعلو وستتمكن وستُدير ولربما تمكنت من أن تقيم الناس وتقعدهم، لما قال تعالى: ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ والعلو ههنا ورد بأسلوب (النكرة) والتنكير فى اللغة يفيد العموم والشيوع – أى أنه عُلو عَامٌ غير محدود.

ولكنه علو باطل ومزيف كالذى يبنى البيت بالورق المقوى ويرتفع به ارتفاعاً حتى إذا جاء يصعده لم يجده شيئاً ولم يجد له حقيقة ولا أثر غير كومة من الورق الممزق، وذلك لأنه فى حقيقته ترتيب ملفق سيعلو على إمكانيات الآخرين.

وكما أنه علو سريع الإيقاع فإنه كذلك سيكون سقوطاً سريعاً ومدوياً. فإسرائيل ليست أقوى من الإتحاد السوفيتى الذى انهار بلكمة اقتصادية واحدة، تلقاها فى رأسه من الكيان الإقتصادى الأمريكى القوى، فأقعدته عن الحراك، وأطاحت به إلى أرفف الطرائف فى أرشيف التاريخ.

ولقد أنبأنا القرآن الكريم بنهاية هذا العلو، وبنهايتهم كما وكيفاً، عند قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء: ١٠٤].

**واللفيف:**

قال الجوهرى – ما اجتمع من الناس من قبائل شتّى – يقال جاء القوم بلفِّهم ولفيفهم، أى وأخلاطهم، وقوله تعالى: ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ أى مجتمعين مختلطين، وفلان لفيف فلان: أى صديقه.

قال الأصمعى: اللفيف جمع وليس له واحد وهو مثل الجميع[1].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧].

فإن المراد هنا ليس هو اليوم الآخر – أى – يوم القيامة، إنما هو نقيض الأولى للأشياء التى ليس لها ثالث. كقوله تعالى: ﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ ﴾ [الضحى: ٤] فالآخرة هنا: هى الحياة الآخرة التى تلى الحياة الدنيا وهى التى تبدأ بقيام القيامة حيث تلتقى الأرواح، والأبدان والأنفس – فى هذه الحياة الآخرة كما

---

(١) تفسير القرطبى سورة الإسراء آية ١٠٤.

كانت تعيش فى الحياة الدنيا (الأولى) – وعليه فلا يصلح القول ولا يصح أن نستبدل لفظة (الثانية) كبديل عن الآخرة فى هذا السياق.

وهذا ما أردنا بيانه هنا – أى أنه إذا جاء الوعد بنهاية الإسرائيليين نهاية تنقطع سيرتهم بها مع دوام الحياة واستمرارها لغيرهم من الأممين سلط الله عليهم المسلمين ليفعلوا بهم ما لم يفعله آخرون، وليدمروا لهم كل شيء وليسحقوهم سحقًا ويحصروهم عددًا ويبيدوهم بددًا – لما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء:٧].

وإذا كانت إسرائيل الأولى التى فسدت فسادًا كبيرًا. فسلط الله عليهم بختنصر الذى أقبل عليهم بجنوده حتى نزل بساحتهم ثم حاصر (يهوذا) مملكتهم فكان كما قال تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وحكم فيهم حكم الجاهلية فقتل الثلث، وأسر الثلث، وترك المرضى والشيوخ والعجائز ثم وطأهم بالخيل، وهدم بيت المقدس، وخرّب الحصون، وحرق التوراة، ومن ثم فقد أُدْمجت يهوذا فى الإمبراطورية البابلية، ثم كانت نهاية إسرائيل الأولى على يد «هادريانوس» الرومانى الذى احتل أورشاليم ودمّرها تمامًا، وبنى فوقها مدينة جديدة باسم (إيلياكا بيتولينا) وقام الرومان بعمل مذبحة جديدة وكبيرة ختمت عصر اليهود فى فلسطين سياسيًا وسكانيًا وتاريخيًا، وديمغرافيًا، وانتشر الهاربون منهم فى الأرض وأخذوا ينشرون أحقادهم وينفثون سمومهم فى كل البلاد التى رحلوا إليها حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحُبت بفعل كيدهم ودسائسهم وفتنهم حتى لفظتهم الدول التى كانوا بها، بحيث باتوا فى الشتات وليس أمامهم سوى حلم العودة إلى أرض الأجداد (حسب زعمهم) فى فلسطين لإقامة وطنهم الكبير إسرائيل الثانية (الوطن القومى لليهود)، وهو المراد – إسرائيل الثانية والتى قدّر الله لها عقابًا آخر على فسادها وإفسادها وعلوها الزائف المتسلق على أملاك الآخرين وحقوقهم، وهو عقاب سينزل بساحتهم استحقاقًا لحقهم (لِيَسُوءُوا وجوهكم).

وفى اللغة: السوء: كل ما يغم الإنسان: و–: كل ما يَقْبُح (ج) أسواء، السيِّئ: كل قبيح وشائن (السيئة والعيب والنقص)[1].

(١) المعجم الوجيز ص٣٢٧.

وليدخلوا المسجد: وهى الرغبة الملحة والأُمنيَة العظيمة، والغاية العُليا من اللقاء المُرتقب لِنُصيبُ وجوههم بالسوء، ونجرُّهم عليها لنجعلها معيبة ناقصة وهم يخرجون من المسجد الأقصى (أَسيرَهُم الآن) اذلاء مقهورين مكبلين فى القيود لِنُعْمِل فيهم ما قال تعالى فى أهل النار: ﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١] وهو كلام متروك لحينه ووعده ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾.

وفى اللغة: تب الشيء تبًا، تَبَابًا: انقطع، وتبّ فلان: خسر وهلك - يقال فى الدعاء تبت يدَهُ - وتبًا له. و-: ضَعَفَ وشَاخَ، وتب الشيءَ او الشيءُ - تبًا: قطعه فهو تابٌّ، - تَبَّبَهُ: أهلكه وألحق به الخسارة [1] - أى تدمير وإهلاك وفناءً ما علوا به تدميراً كاملا وهلاكا محققا وفناء مُخلِّصًا الدنيا من شرورهم وبغيهم أبَدَ الآبدين ودهر الداهرين، فلا يهود بعد على وجه الأرض إلى يوم الدين، ولا إسرائيل ثالثة تقوم لها قائمة، إنه العقاب الواجب، والجزاء اللازم لإسرائيل الثانية بعد أن انتهت الفرصة الأخيرة التى تنتهى عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ وهى فرصتهم الأخيرة فى الحياة لذلك لا حرج فى أن يأتوا لفيفًا وعلى عجل إلى أرض المعاد التى ستشهد إنْجَاز وعد الله للمسلمين بالنصر، ولليهود بالقهر بعد أن يأتوا جميعًا (لفيفًا) من كل حدب وصوب مختلطين من أجناس شتى وبلاد متفرقة.

إن شرقنا العربى سيشهد صداماً هُو الأعنف، وحربًا هى على الإطلاق الأشرس بين إسرائيل التى تحفر خندقًا للأمريكيين ستلقيهم فيه بعد أن يمكنها الأمريكيون من إقامة وطنهم الكبير، وذلك سيكون عندما تصبح الصين هى «النجم المتلالئ الأول على وجه الأرض» حينئذ سيُولّى الإسرائيليون وجوههم صوب الشرق الأقصى، ويديرون ظهورهم إلى الولايات المتحدة لتتجرع أمريكا الكأس كما تجرعته بريطانيا، وتندلع الحرب التى لا مثيل لها مع القوات الأمريكية والتى بسببها سيدخل العرب مضطرين إلى الدخول فى حروب متقطعة مع الطرفين المتحاربين (الصهيونى والصليبى) حتى تأتى «الملحمة الكبرى» التى أخبرنا بها الرسول ﷺ، وقد بدأت هذه الحروب منذ فترة والتى سوف يسبقها صراع مرير بسبب صدام المصالح والسيادة بين الإمبراطوريتين المتنافستين على أرضنا الطيبة ولربما امتد الصراع إلى الصين، وأقول بأنه امتداد حتمى لا بد أنه واقع ولربّما كانت هذه هى آخر الحروب على وجه الأرض

---

(١) المعجم الوجيز ص٧١.

والتى ستدور مُعبرّة عن أكبر صراع للحضارات وسوف ترتفع فيها أصوات الدبابات عبر التاريخ الإنسانى كله، عندما ينفُجر بركان الغضب ويثور الثائرون ويخرج معهم من تحت الأرض سكان القبور، ليخرج من بين المسلمين ثعلب الصحراء الذى سَيَقُودُ أم المعارك وعند زحفه ستهب عاصفة الصحراء الحقيقية التى سوف تصحح مجرى التاريخ الذى انحرف كثيراً عن مساره بعد وفاة البطل صلاح الدين.

ولقد أخبرنا الحق جل وعلا فى كتابه المكنون (القرآن الكريم) عن صدق هذا التوجه، وحقيقة هذه الرؤية، التى تؤكد الشواهد والوقائع على أن الأحداث تُسرع الخُطَى نحو حلول الأجل الذى قضى الله تعالى له فيه كينونته من أجل ان يكون عند القدر المعلوم ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ ﴾ [العنكبوت: ٥] وهو الأجل الذى سيحصد آجال المتكبرين، المتغطرسين، أساتذة الفتن وأبالسة العالم وصدق الله العظيم القائل: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾.

* * *

# خـــاتمة

يتطور الصراع ويحتدم، ويدار بغير واحدة من الطرق ومن اللغات، ولقد عرضنا لكثير من ألوانه وأشكاله، وأنماطه، ونتائجه، وسُبُله وأحجامه ونتائجه، وانعكاساته، ومردوداته، ومدلولاته ضمن عملنا السابق فى كتابين أشرنا إليهما سابقًا.

وفى العمل الذى بين أيدينا تحتم علينا الغَوْص فى أعماق التاريخ فى محاولة جادة، مُحايدة تهدف إلى الكشف عن حقيقة الصراع الذى عاشته البشرية منذ النشأة الأولى، إما بسبب حب النساء، واكتناز الأموال والذهب والفضة، أو للسيطرة على مصادر الثروات ونهب الخيرات، وإما لجلب المنافع أو درءًا للمفاسد أو تسلطًا على الآخرين.

وفى هذا المعترك من صراع الحضارات

وفى هذه الدردشة من حوار الدبابات

حظيت الأنظمة الحاكمة، والدول، والحكومات، وبعض الأسماء التى لمعت ببريق الأحداث وقد ذكرناهم عمدًا لضرورة الحال، إما قصدًا أو عن غير قصد، أما الطرف الغائب الذى هُضِم حقه فى هذا اللقاء فإنها الضحية الأولى لتلك النظم، وبطش الحكومات، ودهس الدبابات وهى الشعوب.

وإن دارت الدائرة على كل شعوب الشرق وتجرعوا الكأس مُرًا.

فإنى الآن أقطع بأن القرن القادم – نعم القرن القادم (الثانى والعشرون) سيكون قرنًا جماهيريًا خالصًا، ولننظر – كم لبثت دولة الفُرس، والروم – وكم عمر الدولة الإسلامية (وليست الأمة) الدولة الإسلامية فى ثوبها الأول، – وكم عمر الأمويين والعباسيين، والغزنويين فى أفغانستان، والتتار والمغُول، والإستعمار الصليبى فى العصر الحديث. والذى عاد من جديد بعد فترة من الهدوء.

فقط ستجد الإجابة على صفحات التاريخ.

التاريخ الذى ينطق القرآن الكريم موضحًا مآل الطاغين فيه والظالمين.

لقد اندثرت حضارات هى الأعظم على إطلاقها، وتوارت فى الثرى آثارها فتلك هى ﴿ **إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ** ﴾ ألم تر كيف فعل الله تعالى بها، وذلك جزاء الطاغين ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ** ﴾ [الفجر: ٦–٨].

وتلك هى المدينة الحديثة فى دولة الزراعة والسدود المائية (سبأ) التى كانت تعبد الشمس من دون الله – وهى دولة متدينة – ولما مَثُلتْ مَلِكَتُهَا بين يدى نبى الله

( سليمان ) عليه السلام، ورأت دلائل القدرة وبَهرَتْها عظمة الإعجاز قالت « بلقيس » ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [ النمل: ٤٤ ] فنفع الإيمان دولتها.

وهذا مَلِك الفرس « كسرى » الذى مزق كتاب رسول الله فمزق الله ملكه.

وثمود، وقوم صالح، وقوم تبّع، والذين أذوا موسى.

وفرعون مصر – أرأيت كيف طبق عليه البحر، فلو قال – آمنت بالله – لنَجّاهُ الله، غير أن صلفه وكبريائه منَعَه ، وهو القائل لأهل مصر ( ما علمت لكم من إله غيرى ) وأخذته العزة بالإثم فقال آمنت بالذى ءامنت به بنو إسرائيل – فزهقت روحه، ونجا بدنه آية للناس ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ [ يونس: ٩٢ ]، وهذا قارون اليهودى وهو من قوم موسى وقد آتاه الله من الكنوز العظيمة ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ [ القصص: ٧٦ ].

غير أنه جحد فضل الله تعالى عليه فكان حُكم الله ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ [ القصص: ٨١ ].

إن خلود الحضارات أو فنائها مرتهن بالعقيدة الصادقة المؤمنة بالله، والمترجمة إيمانها إلى أنماط وأفعَال سلوكية حميدة تنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وعلاقة الإنسانيّة بالله جل علاه – فيعمُّ الحق والعدل والخير والمساواة التى هى من صميم شرع الله فى دين الله لِخَلق الله ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [ الأعراف: ١٨٧ ].

إن الدين وحده هو سر استمرار الحضارات بلا منافس أو منازع ولذلك يُعدُّ الدين الإسلامى الخالص من الشوائب ومن الزيف والبدع والمضلات ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [ المزمر: ٣ ]– هو القاعدة الصلبة التى بُنيت عليها أعظم الحضارات الإنسانية على وجه الأرض وهى ( الحضارة الإسلامية ) التى جمعت الدنيا والدين، الشكل والجوهر، العمل والأمل، وجمعت الشتات وآخت بين الأعداء ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [ آل عمران: ١٠٣ ] حتى صاروا أفضل المخلوقات وأوسطهم وذروة سنامهم، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ [ آل عمران: ١١٠ ]، غير أن وُلاة أمور الأمة اختلفوا، ودب بينهم الشقاق، وصاروا أُمَمًا تحت دعاوى القوميات والأجناس حتى ملأت الدنيا هذه الأيام تعبيرات مؤلمة تعبر بجدية عن الأممية والقطرية فأصبحنا نسمع ( بالبربرية ،

والزنْجية، والعربية، والقبطية: والفرعونية ) وقد وضعتنا هذه الأممية على شفا الإنهيار التام الذى ضيّع فلسطين والعراق – وغداً دمشق والرياض، وجوّع السودان وليبيا وأحرق الجزائر واليمن بنار الإرهاب والتنصير.

حتى ملّت الشعوب العربية والإسلامية، ومقتت مقت الموت تصرفات ولاة أمورها وأنظمتهم، وشعاراتهم، وأطماع أعدائهم.

ويومًا سينتفض المقهورون الغاضبون، الثائرون، الرافضون للشرذمة والتحلل، المؤمنون بالعمل العام، الحالمون بالحرية والديمقراطية والوحدة. ولسوف تنهار الأنظمة أمام الإرادة الجبارة للشعوب التى تحرك إرادتها الجبال، وتقتلع رياحها القلاع، وتدك خطواتها الحصون، وسيتوجه الجميع للقصاص من الأعداء، ونهش لحومهم بالأظافر إذا امتنعت عليها السكاكين والسنج والخناجر والسيوف، وسيمزقُونهم بالأسنان ويلعبون بهم بالبنان.

ولترحل الحكومات والوزارات والسلاطين والأمراء والرؤساء والملوك وليحملوا آنئذ دباباتهم على ظهورهم، أو أن يطيروا بطائراتهم إلى ذاكرة التاريخ، أو ليمتطوا عوابر القارات وليستقروا عند المهيل، أو بداخل العين الحمئة.

ولتنتصر إرادة الشعوب.

ولتحيا الحضارة الإسلامية فى الأزمنة الآتية، بعد أن تتمكن الشعوب من حسم الصراع المحتدم، وقطع لسان الحوار الدائر وإلى الأبد.

* * *